الأصالة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

٧

رسالةٌ إسلاميَّةٌ منهجيَّةٌ جامعةٌ

تَصدرُ مُنْتَصفَ كُلِّ شهرٍ هجريّ

(وفي كلِّ شهرين مرَّةً مؤقَّتاً)

العدد السابع – السنة الثانية / ١٥ ربيع الثاني ١٤١٤هـ

... تَقْرَأُ في هذا العدد :

مسائل وأجوبتها : للعلاّمة المحدث الفقيه الألباني .
كلمة حق في فُتيا العلاّمة الألباني حول الهجرة: محمد شقرة.
نحو النفسية المستسلمة لله : محمد عيد عباسي .
الثقافة .. والغزو الثقافي : د. مروان القيسي .
مصائبُنا .. مَن وراءَها ؟! : عدنان العَرعور .
مصادر التلقي عند أهل البدع : عبدالرحيم صايل السلمي .
أعظمُ الذنوب : الشركُ : شاكر توفيق العاروري .
إلى مواكب الصادقين : أم محمد الفاتح .

بالإضافة إلى عددٍ من الأبواب الثابتة والمواضيع العلمية الأخرى ...

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسُّنة بفهم سَلَف الأمَّة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجِيَّةٌ جامِعَةٌ

العدد السابع - السنة الثانية
١٥ ربيع الثاني ١٤١٤هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نَصر

جمعية النور والايمان الخيرية الإسلامية
علم وخبر ١٣٠/أد
ص.ب : ١٣/٦٠٠٦ شوران
بيروت - لبنان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ للّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ، ونَعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أَنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أَعمالنا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاّ وَأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلونَ بهِ والأرحام إنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء:١] .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللَّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب:٧١] .

أمَّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللّه، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

المحتوى

- **فاتحة القول : مذهب القلم السلفي .**

التحرير ٥

- **تأمُّلات قرآنيَّة : الداء والدواء .**

مشهور بن حسن ٧

- **الكلم الطيب : حين ينطق الرويبضة .**

محمد موسى نصر ٩

- **مباحث عقيدية : أعظم الذنوب : الشرك .**

شاكر توفيق العاروري ١٢

- **السلوك وتزكية النفوس : نحو النفسية المستسلمة لله . (١)**

محمد عيد عباسي ١٦

- **كلمات في الدعوة والمنهاج : اتهام أهل الحق بغير حق .**

علي بن حسن ٢٠

- **تصفية وتربية : مصائبُنا .. مَنْ وَراءَها ؟! (١)**

عدنان العرعور ٢٢

- أضواء على مناهج الفرق المنحرفة : مصادر التلقي عند أهل البدع .
  عبدالرحيم صمايل السُلمي ٢٨
- الكتب تعريفاً ونقداً: من مناهج أهل العلم في التأليف:« المختصرات ».
  سليم بن عيد الهلالي ٣٦
- وفاء ورثاء : إلى مواكب الصادقين . (١)
  أم محمد الفاتح ٤٠
- في السياسة الشرعية : كلمة حق في فُتيا العلامة الألباني حولَ هجرةِ المضطهدين من المسلمين .
  محمد إبراهيم شقرة ٤٩
- مصطَلح وبيان : الثقافة ... والغزو الثقافي . (١)
  د . مروان القيسي ٦٣
- خواطر إيمانيَّة : موقفان
  علي بن حسن ٦٧
- مسائل وأجوبتها .
  العلامة محمد ناصر الدين الألباني ٧٠
- أحوال العالم الإسلامي .
  التحرير ٧٣
- القراء .. منهم وإليهم .
  التحرير ٧٦
- مسك الختام : بين موائد الخمر وموائد الكفر .
  التحرير ٧٩

مذهبُ القَلَم السَّلَفي

التحرير

ينطلقُ المرءُ دائماً في ظلِّ إحساسٍ ينفرد به يُسَوِّغُ به تَدخُّلَه لتقويم الاعوجاجِ في أنماطِ الحياةِ .

ولكنَّ المسلمَ يبتعدُ - في أحاسيسه - عن كلِّ الفلسفاتِ الوضعيَّةِ ، أو الأفكارِ الأرضيَّةِ ، لأنَّهُ في دعوتهِ يُمَثِّل جزءً منَ الرِّسالةِ الرَّبانيَّةِ التي امتطت صهوةَ الحقِّ لِتُخرجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ .

وقد يختلفُ الإسلاميُّونَ في تحديدِ سُلَّم الأولويّات في مناهجهم الدَّعويّة ، إلّا أنَّ القلمَ السَّلفي يأبى إلّا أنْ يَخُطَّ مذهبَهُ بوضوحٍ وجلاءٍ ، **وإنْ كَرِهَ المستعجلونَ** ، وهو التَّوحيدُ **أوّلاً** ، وتربيةُ النَّاسِ عليه ، ودعوتُهم إليه ؛ لِيُعْبَدَ اللَّهُ وحدَه ، ويكونَ الدِّينُ كلُّه للَّه ، وَلِيَخْرُجُوا من ظلماتِ الجهلِ إلى أنوارِ العلمِ ، ومِن ضيق الدُّنيا إلى سَعة الدُّنيا والآخرة ، ومِن جَور الأديان إلى عدل الإسلام .

واختلج في صدور طائفةٍ من طُلّابِ العلمِ إحساسٌ إيمانيٌّ أصيلٌ تُجاه أُمتهم فأبوا إلّا أن يُؤَذِّنوا في النَّاسِ بالحقِّ - وإنْ كانَ أكثرُهم نياماً - فخرجت رسالةُ « **الأصالة** »،

وعلى قَدْرِ عالٍ من منهجيّة علميّة تُعنى بتجذير فَهم المسلمين لدينهم ، وبترشيد مسارهم إلى غايتهم ، وتحذيرهم من كيد الشيطان وشرور النَّفس ، كل ذلك على طريقٍ بيِّن من سبيل المؤمنين من السَّلف الصالحين ، وعلى هدايةٍ وتسديد من عُلماءِ الأُمّةِ الرَّبانيِّين .

وها هو قد مضى على ميلادها عامٌ على أرضِ الواقعِ - وإنْ كانت قد عاشت في النَّفس سنينَ عدداً - ومشت علا الأَسَلاتِ مشيةَ واثقٍ باللَّهِ ، ثمَّ بدعوةٍ واضحَةٍ وضوحَ الشَّمسِ في رائعةَ النَّهارِ منذُ أن علا صوتُ محمد ﷺ في عاصمة الشرك وقلعة الأوثان يدعو إلى عبادة الرحمن وحده .

وكانت تودُّ أنْ تصدر في عامها الثَّاني - هذا - على مدار الشهور ، ولكنْ ثمَّة عوائقُ تعترض طريقها ، ليست في منهجها ، أو في همّة القائمين عليها ، وإنَّما أهمها - نقولُ ذلك بصعوبة - قلَّة الناصحين ، وتعفُّف أقلام بعض الكاتبين ، وخذلان بعض الأصدقاء المُتفرّجين ، وإرجاف أكثر الحزبيِّين ، وتربُّص جموعِ المنافقين ...

فالمرجوُّ من النَّاصحين : بَذلُ خالص القول ، ومن الكاتبين : إعطاء ثمرة القَلَم ، ومِن الأصدقاء : شدُّ اليَدِ بالخير ، ومِن (سواهم) : السَّعةُ والصَّبرُ وحُسنُ الظَّنِّ .. وإلّا .. فإنَّ اللَّه بهم كفيلٌ ...

ولذلك فما لا يُدرَك كُلُّه لا يُترك جُلُّه ، وأفضل الأعمالِ أدومها وإن قلَّ ، ومن أجل ذا فإنَّ « **الأصالة** » تستغفر اللَّه من التَّقصير ، ثمَّ تستعذر من عباده المؤمنين في بقائها على نَمَطها في عامها الأوَّل في صدورها كل شهرين مرَّة - إلى حينٍ - ، وهي على ثقة من اللَّه العليِّ الأعلى - بمشيئته سبحانه - أنَّه سينسأ في أثرها ، ويُبارك في عمرها ؛ لأنَّها تقتبس أنوارها من مشكاة الوحيين ؛ كتابِ اللَّه وسنَّة رسوله ، ومن كان كذلك فلن يكبو أو ينبو أو يخبو بإذن اللَّه تعالى ، وتوفيقهِ ، واللَّهُ المستعانُ .

الدَّاءُ ... وَ ... الدَّواء

مشهور بن حسن

من تأمَّل كلامَ اللَّه عزَّ وجلَّ وجدَ فيه بيانَ (الدَّاء) الذي تعيشه أُمَّةُ الإسلام هذه الأيَّام ، و (الدواء) الذي تبحث عنه ، وجاء ذلك مجملاً في آياتٍ ، ومفصَّلاً في أحاديثَ نبويَّة صحيحة ، ووقفتُنا هذه المرَّة مع آياتٍ فيها الحضُّ على الجهادِ ، وبيانُ ما يصيبُ الأمَّةَ إنْ تَرَكَت هذه الطَّاعة ، وما هو السَّبيلُ منَ الخروجِ مِن الآثارِ السَّيئةِ المترتِّبةِ على تَركِ هذا الفرضِ ؟!

الدَّاء : ﴿ إلّا تنفرُوا ﴾ ، **والأثر** المترتِّب عليه : ﴿ يُعَذِّبكُم عذاباً أليماً ﴾ ، **وسببه** : ﴿ أرضيتم بالحياة الدُّنيا مِن الآخرة ﴾ .

وقد فصَّل رسولُ اللَّه ﷺ سببَ هذا الدَّاء بقوله - فيما أخرجه أبو داود وأحمد عن ابن عمر مرفوعاً - :

« إذا تبايعتُم بالعِينة ، وأخذتم أذنابَ البقَر ، ورضيتُم بالزَّرع ، وتركتُم الجهادَ : **سلَّطَ اللَّهُ عَليكُم ذُلّاً ، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكُم** » .[1]

---

(١) وهو حديثٌ صحيحٌ ، مخرَّج في « السلسلة الصحيحة » لشيخنا الألباني (رقم ١١) .

ففي هذا الحديث تفصيلٌ للرِّضى بالحياة الدُّنيا من الآخرة الواردِ في الآيةِ ، وهو التَّوسُّع في جمع المالِ ولو عن طريق الحرام ، والركون إلى الأرض ، وحب الحياة ، وكراهية الموت في سبيلِ اللَّه (الجهاد) .

وفيه أيضاً إلماعةٌ للأثر المترتِّب عليه ، وتفسيرٌ لقوله تعالى : ﴿ عذاباً أليماً ﴾ بالذُّلِّ والصَّغارِ المترتب على هذه الفواحش والمعاصي، وذلك بقوله ﷺ :« سلَّط اللَّه عليكم ذلّاً ».

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللَّه – أنَّ العذابَ الأليمَ المجمل في آياتِ سورة التَّوبة جاءَ مُفصَّلاً في سورةِ الأنعامِ في قوله سبحانه : ﴿ أو يلبسَكُم شيعاً ﴾ ؛ وهذا ذلٌّ ما بعده ذلّ ! كيف ذلك ؟ إنْ تفرَّقت الأمَّة أحزاباً وشيعاً تداعت عليها الأمم .

وقد كشف رسول اللَّه ﷺ عن الأثر المترتّب على داء الرضى بالدنيا من الآخرة ، فقال – فيما أخرجه أحمد وأبو داود عن ثوبان رضي اللَّه عنه – :

« يوشك أن تَدَاعى عليكم الأمم من كلِّ أُفُقٍ كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قَصعتِها ، قيل : يا رسول اللَّه ! فمن قلَّة يومئذٍ ؟! قال : لا ؛ ولكنَّكُم غثاء كغثاء السَّيل ، يُجعل الوهنُ في قلوبكم ، ويُنزعُ الرُّعبُ من قلوبِ عدوِّكُم ، **لحبِّكم الدُّنيا ، وكراهيتكم الموت** » .[1]

أرأيتَ – أخي الحبيب – أثر الرضى بالدنيا ، إنَّه الدُّنيا والدّنيّة على الذات بالتفرُّق والتشرذُم ونشوء الشيع والأحزاب فيها ، وعلى العدو بالطمع في الخيرات ، والنَّهْشِ من جسم الأمَّة الإسلاميَّة وخيراتها ، والتداعي عليها .

هذا هو الداء ، والأثر المترتب عليه ، وسببه ، ولكن ... ما هو العلاجُ ؟

إنَّه التخلّي عن أسباب المرض من خلال « **حتى ترجعوا إلى دينكم** » .

نعم ؛ إنَّه التمسُّك بالدين والرجوع إلى فهم الأوّلين له ، والتَّحلي بأخلاقهم ، والقيام بالمهمَّة التي قاموا بها (العلم) و (التزكية) ، حتى يتمكَّن المسلمون من خلال ذلك كُلِّه إلى أن يصعدوا ويسعدوا فيحتلّوا (ذروة سنام الإسلام) ، **والسلام** .

---

(١) وهو حديث صحيحٌ ، كما في « السلسلة الصحيحة » (رقم : ٩٥٦) لشيخنا الألباني حفظه اللَّه وفسح مدَّته .

حين يَنطق الرُّويبِضَةُ ...

محمد موسى نصر

عن أنس وأبي هريرة رضي اللَّه عنهما قالا : قال رسول اللَّه ﷺ :

« سيأتي على النَّاس سنواتٌ خدّاعاتٌ يُصدَّق فيها الكاذب ، ويُكذَّب فيها الصادق ، ويُؤتمن فيها الخائن ، ويُخوَّن فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة ، قيل : وما الرُّويبضة ؟ قال : **الرجل التافه يتكلَّم في أمر العامّة** » .

رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وغيرهم ، وسنده صحيح [١].

قال ابن الأثير [٢] : « الرويبضة تصغير الرابضة ، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور ، وقعد عن طلبها ، وزيادة التاء للمبالغة ، والتافه : هو الخسيس الحقير » .

قلت : وهذا الحديث عَلَمٌ من أعلام نبوَّته ﷺ ، فإنَّ النَّاظر في واقع النَّاس اليومَ

---

(١) انظر « الصحيحة » (١٨٨٧) .

(٢) في « النهاية في غريب الحديث » (٢ / ١٨٥) .

يرى « الرويبضة » قد ركب المنابر ، ونَعَبَ مِن عليها - وهي تئنُّ وتشتكي إلى اللَّه - نَعيب الغُربان ، ونَعِقَ نَعيق البوم في الوديان ، فلا تسأل بعد ذلك عن خراب الديار والأوطان !

وآخرون من الرُّويبضات تسمع لهم نبيباً كنبيبِ التُّيوس في الزَّريبة ، يَتباكَونَ على مصير الأُمَّة ، وهم مُصيبةٌ من أعظم مصائبها ، يَحسَبون كلَّ صيحة عليهم ، يقولون في دين اللَّه بلا علم ، وبلا دراية ، وبلا هداية ، ليفتروا على اللَّه الكذبَ ، وما علموا أنَّهم بذلك لا يُفلحون .

وهم كالحِرباء المتلوّنة لا تُعرف لهم حال ، ولا يستقرُّ لهم قرارٌ ، وليس لهم هويةٌ تميزهم ، يميلون مع مصالحهم حيث مالت ، ويركبون كلَّ صعب وذَلُول للوصول إلى مراكِزِهم ولو بِنَهشِ البُرَءاء ، والتطاول على العظماء ، ورميهم بالزور والافتراء .

وبعضُ هؤلاء الرُّويبضات يطعنون الإسلامَ باسم الإسلام ، وتراهم يتباكون على الإسلام وهم أبعد النَّاس عنه ، وكم لاقى الإسلامُ وأهلُه منهم .

يُسمُّون التَّمسُّك بالإسلام تطرفاً ، ونَسُوا - أو تَناسَوا - أنَّ التطرُّف : هو الانحلال الخُلُقي والمسخ الخَلْقي الذي يعيشون ، ولكنّها كلمةٌ خرجت من أفواههم إفكاً وظلماً تلقّوها من أساتذتهم أبناء ماسون ! فنعقوا بها في كلِّ وادٍ-ونادٍ ، وبها يتيهون ويهيمون ، ونقنقوا بها نقنقة الضفادع الغائرة في الطين ، وليتهم عرفوا مدلولَها الشرعيَّ فهي حُجَّة عليهم ، لكنّ مصيبتهم أنَّهم لا يُحسنون إلّا ترديد الببغاوات .

ومِن خِصالهم - وقد ركبوا دفّة الأعلام والصحافة ، ووُسِّد الأمر إليهم بعد أن

أُقصِيَ عنه خيار هذه الأمَّة ، وطردوا طرد الإبل الغريبة - أنَّهم ينشرون ما لَهم ولو كان في غاية الغثاثة ، ويحذفون ولا ينشرون ما عليهم ولو كان حقّاً ظاهراً .

دَيدنهم الكذب ، وشعارهم التدليس ، لا يَرقُبون في مؤمن إلّاً ولا ذِمَّة ، نذروا أنفسهم للشيطان ، وتمرَّدوا عن طاعة الرحمن ، وفسقوا عن أمر ربِّهم خالق الإنس والجان ، إذا رأوا عالماً أو طالبَ علم وَلَغوا في عِرضِه ولوغ الذئاب في الشياه ، فتارة يتغامزون ، وأخرى يهمزون ويلمزون ، غافلين عن قول الحق : ﴿ ويلٌ لكل هُمَزَة لُمَزَة ﴾ وقوله : ﴿ إنَّه كانَ فريقٌ مِن عِبادِي يقولون ربَّنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنتَ خيرُ الرَّاحمين فاتّخذتموهم سِخريّاً حتى أنْسَوْكم ذِكري وكُنتم منهم تضحكون إنّي جزيتُهم اليوم بما صبروا أنَّهم هم الفائزون ﴾ .

هل سمعتم - أيُّها العُقَلاءُ ! - أنَّ جمعاً من الرُّويبضات - ثلثه نصارى ، وثلثٌ آخر سكارى ، والبقيّة حيارى - يُفاوض على تقرير مصير أمَّة ، وتغيير تاريخ أجيال تحت شعار : ﴿ وَإِنْ جَنَحوا للسَّلمِ فاجْنَح لها ﴾ ؟!!

إنَّه لن يكونَ حالُ الأمَّة أسوأَ ولا أقبحَ من حالها حينما يعلو الزبدُ ، وما ينفع النَّاسَ يذهب جفاءً ، حينما ينطق فيهم الرويبضةُ ويصول ويجول ، وتخلو له الساحة؛ حينئذٍ : (ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب) ، وويل لهم من شَرٍّ غائب يُنتظر .

وليس لها من دون اللَّه كاشفةٌ ، فَفِرُّوا يا عباد اللَّه إلى اللَّه واعملوا بالشرع وأحكامِه ، به زنوا الأمورَ والأحداث والأشخاص ، وإيّاكم والانتكاس ، إنّي لكم نذيرٌ مُبين .

واللَّهُ معَ الصادقين .

أعظمُ الذُّنوبِ : الشركُ

شاكر بن توفيق العاروري

عن عبدالله بن مسعود قال : سألت النَّبي ﷺ : أيّ الذَّنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » ، قلت : إنَّ ذلك لعظيم ، قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تقتلَ ولدَك تخاف أن يطعَم معك » ، قلت : ثم أيّ ؟ قال : « أن تزاني بحليلة جارك » (١).

اعلم - أخا الإيمان - أنَّ أعلى ما يتوصّل العبدُ إليه في مقامات العمل هو التوحيدُ الخالصُ ، والخضوعُ التامُّ لله عزَّ وجلَّ مع غاية الذُّلِّ وكمال المحبَّة ، كما قال تعالى : ﴿ وَما أُمِرُوا إلّا ليَعبُدوا اللَّهَ مُخلصين له الدِّين حُنفاءَ ويقيموا الصَّلاة ويؤتوا الزَّكاة وذلك دين القيمة ﴾ .

ولا ينحدرُ العبدُ عن هذا المقام إلّا إذا تطلّعت نفسُه إلى زُخرُف الدنيا وزينتِها ، ومدَّ عينيه إلى ما متَّع اللَّهُ به أهلَ الدنيا ، فمن نزّل نفسه هذه المنزلة

(١) أخرجه البخاري (٤٢١/١٣) ، ومسلم (١٤١) .

تفرَّغ قلبه لما توجّه إليه ، وانخلع عمّا كان فيه من التوحيد والإخلاص ، وأبدله بكفرٍ أو نفاقٍ ومكرٍ ؛ ليُرْضي مَن جعله بديلاً في قلبه وهو النِّدُّ .

والنِّدُّ هو نظير الشيء الذي يعارضه في أموره ، وهذا لا يكون إلّا إذا احتلَّ الشَّريكُ في القلب منزلةً تساوي منزلةَ صاحبِ الحقّ الأصيل أو تفوقه ، فإذا كان ذلك كذلك صُرِفَ ما كان واجباً للّه للنِّدِّ الدُّون من عبادةٍ قوليَّةٍ أو فعليَّةٍ ، ولذلك ألوانٌ وأوصاف .

ولفظ النِّدِّ في كتاب اللّه اقترن مَع الحبِّ تارة ومع الإضلال أُخرى ، وكلٌّ منهما مُتمِّمٌ الآخرَ ، فلا يمكن أن يكون في قلب المرء شريكٌ للّه إلّا إذا بلغَ الشريكُ محبَّةً تساوي محبَّة ربِّه عزَّ وجلّ كما قال اللّه تعالى : ﴿ ومِن النَّاس مَن يتّخذ مِن دون اللّهِ أنداداً يحبّونهم كحبِّ اللّه والذين آمنوا أشدُّ حبّاً للّه ﴾ .

وهذه قاعدةُ الإضلال والضَّلال ، كما قال اللّه تعالى : ﴿ وجعلوا للّه أنداداً لِيُضلُّوا عن سبيله ﴾ ، فمن أحبّ شيئاً أطاعه ولم يعصه ، ومن أطاع شيئاً التزم أمرَه ونهيَه ، وجعل كُلِّيَّته لمحبوبه ، فيسلكُ سبيلَه ويتركُ ما سواه ، وما تنكّب أحدٌ سبيلَ اللّه إلّا كان ممن قد ضلّ وأضلّ .

وهذا كلّه لا يكون إلّا بالكفر باللّه تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ إذْ تأمرونَنا أن نكفُرَ باللّه ونجعَلَ له أنداداً قل تمتَّعوا فإنَّ مصيركم إلى النَّار ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ له أنداداً لِيُضِلَّ عن سبيله قل تمتَّع بكفرك قليلاً إنَّك مِن أصحاب النَّار ﴾ .

وكذلك لا يكونُ ذلك إلّا بالبُعدِ عن اللّه وجُحود نعمه وتفضُّله ونُكرانِ

رعايتهِ وعظمته وسؤدده ، كما قال سبحانه : ﴿ قل أئنّكم لتكفرون بالذي خلق السمواتِ والأرض وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين ﴾ .

من أجلِ هذا جعلَ اللَّهُ تبارك وتعالى الشِّركَ أعظمَ الذنوب وأقبَحها ؛ بقوله على لسان لُقمانَ في وصيّته لولده : ﴿ يا بُنيَّ لا تُشرِك باللَّه إنَّ الشِّركَ لظلمٌ عظيم ﴾ .

وأيُّ ظلم أعظمُ من أن يجعل العبدُ طاعته لغير خالقه ومُدبِّر أمره ورازقه ؟

وأيُّ ذنب أعظمُ من أن يُطاع الخلق في التحليل والتحريم ويعصى الخالق ؟

وأيُّ ذنب أعظم من أن يُنبذ كلام اللَّه وشرعه ؟

وأيُّ ذنب أعظم ممن يدعو غير ربّه ويظن أنَّ النفع والضرّ لا يكون إلّا ممن خلقه ؟

إنَّ من كانت هذه عقيدته ووجهته فإنَّه قد أقحم نفسَه بابَ الكفرِ ، وهو الذنب الذي لا يغفره اللَّه تعالى ؛ كما قال سبحانه : ﴿ إنَّ اللَّه لا يغفر أن يُشركَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ .

وعن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه قال : سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول : « كلُّ ذنب عسى اللَّه أن يغفره إلّا من مات مشركاً ، أو مؤمن قتل مؤمناً » (١).

واعلم - أخا الإيمان - أن الشركَ محبطٌ للعمل كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُل أفغَير اللَّه تأمرونّي أعبدُ أيها الجاهلون . ولقد أُوحِيَ إليك وإلى الذين مِن قبلك لئن أشركت ليحبطنَّ عملُك ولتكونَنَّ من الخاسرين ﴾ .

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٧٠) بإسناد صحيح .

ومن مقاماتِ العبادة الشركيةِ المعاصرةِ الاستغاثةُ بغير اللَّه ، والذبحُ لسواه ، وكذا دعاءُ غيره ، والتحاكُم لغير شرعه ، والرضا بغير حُكمه .

ولأجل هذا كُلِّه بيَّن اللَّهُ تعالى لأهل الإيمان السبيلَ الذي يجب عليهم أن يسلكوه ، ولا يتردّدوا في الأخذِ به ، فقال سبحانه : ﴿ قل إنَّني هداني ربِّي إلى صراطٍ مستقيمٍ ديناً قِيَماً مِلَّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . قل إنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي للَّه ربِّ العالمين ﴾ ، فإنَّ هداية اللَّه لعباده تُخَلِّصُهم من الشرك وشوائبه ، فلا ترى في قلوبهم حُبّاً لغيره ، ولا امتثالاً لأمر سواه ، ولا تشريكاً في طاعته ﴿ لكنَّا هوَ اللَّهُ ربِّي ولا أُشرك بربِّي أحداً ﴾ .

واعلم - أخي - أنَّ الذنبين الثاني والثالث - أعني القتل والزنى - غالباً ما يكونان مع الشرك باللَّه في النهي متواليَين في الذكر ، لأنَّها كلَّها جرائم قتلٍ في الحقيقة ، فالجريمة الأولى جريمة قتل الفطرة ، والثانية جريمة قتل الجماعة ، والثالثة جريمة قتل النفس المفردة .

وأصدقُ شاهدٍ على ذلك قولُه تعالى في وصف عباد الرحمن الذين طهّروا قلوبهم وأيديهم وفروجَهم : ﴿ والذين لا يَدعونَ معَ اللَّهِ إلهاً آخرَ ولا يقتلونَ النَّفسَ التي حرَّم اللَّهُ إلّا بالحقِّ ولا يزنون ومَن يفعَلْ ذلك يَلقَ أثاماً . يُضاعَفْ له العذابُ يومَ القيامة ويَخلُدْ فيه مُهاناً . إلّا مَن تابَ وآمنَ وعَمل عملاً صالحاً فأُولئك يُبدِّلُ اللَّهُ سيئاتِهم حسناتٍ وكان اللَّه غفوراً رحيماً ﴾ .

نسأل اللَّه عزَّ وجلَّ الثباتَ على الإيمان ، وعدم الزيغ عن الفرقان ، وأن يجعلنا ممن يحفظون حدوده ويتّقون عقابه .

١

نحو النَّفسيّة المستسلمة للّه

محمد عبد عباسي (١)

ظاهرةٌ خطيرةٌ شاهدتُها لدى كثير ممن يتصدّون للدعوة إلى اللّه عز وجل ، استرعت انتباهي ، وأحببت أن أُذكِّرَ بها إخواني المسلمين ، وبخاصَّةِ الدعاة منهم ؛ عملاً بقوله ﷺ : « الدين النصيحة »(٢)، لأنَّ المسلمين نَصحة بعضهم لبعض ، بينما المنافقون الكافرون بعضهم لبعض غَشَشَةٌ ، فلا يجوز لمسلم أن يرى أخاه واقعاً في خطأ ، أو مُشرفاً على خطر ثمَّ يتركه وشأنه ، وإن فعل فهو الشيطانُ الأخرسُ .

تلك الظاهرةُ هي أنَّ كثيراً من المسلمين عامَّتهم وخاصَّتهم يُخِلُّون بشرط هامٍّ من شروط الإسلام ، بل بصفة أساسيّة فيه ، تلك هي صفةُ الاستسلام لأمر اللّه سبحانه ، والتَّسليم لما جاء عن نبيّه ﷺ دون احتجاج أو اعتراضٍ .

إنَّ اسمَ هذا الدين الحنيف – وهو الإسلام – قد استُمِدَّ من هذا المعنى ، فهو

---

(١) نشكر الأخ الفاضلَ الكبيرَ الأستاذ أبا عمّار – حفظه اللّهُ ونفع به – على مشاركته المباركة هذه ، والتي وَعدَ أن يتلوها مشاركات أخرى ، وذلك منه – جزاه اللّه خيراً – في أوّل رجعةٍ علميّة كتابيّة بعد أن فرّج اللّه كربه ، ومنّ عليه بالحُرّيّة . (الأصالة) .

(٢) رواه مسلم عن تميم بن أوس الداري رضي اللّه عنه .

خضوعٌ كاملٌ من الإنسان لربِّه ومولاهُ تبارك وتعالى دون توقُّف أو تردُّد ، ودون تلكُّؤ أو تحرُّج ، ولذلك فلا يستحقُّ إنسانٌ هذا الاسمَ إلّا إذا تحلّى بمضمونه تماماً ، وإلّا عُدّ كاذباً .

إنَّه إمّا أنْ يكونَ الإنسانُ مسلماً فهو قد أسلم أموره كلها للَّه سبحانه وتعالى ، ورضي بحكمه وصرّف نفسه وهواه وما يملك كما يحب اللَّه ويريد ، وإمَّا أن لا يكون ، فهو يُسلم أموره كلها لغير اللَّه سبحانه ، سواءٌ كان ذلك هوىً متبعاً ، أو ظنوناً عقليّة ، أو تقاليد قديمة ، أو صنماً، **أو زعيماً ، أو حزباً** ، أو غير ذلك .

إنَّه إمَّا أن يكون المرءُ مسلماً فهو عبدٌ للَّه عز وجل وحده يفعل كما يفعل العبد ، ويقف موقف العبد يطيع ويخضع ، ويستسلم لمولاه ويسمع ، فلا يكون له هوى غير ما يحب اللَّه ، ولا رغبة غير ما يرضى اللَّه ، ولا غاية غير غفران اللَّه ، أو لا يكون مسلماً ؛ فهو عبدٌ للعقل ، أو للشهوة ، أو للدنيا ، أو للسلطان ، أو للحزب ، أو للزعيم ، أو للعادة ، أو لغير ذلك .

فلا يكفي لادِّعاء الإسلام أن يشهدَ المرءُ بالشهادتين ويُؤدِّي العبادات وغيرها ، **ويُظهر الحماسة للدين** ، ثمَّ إذا عرضت له آيةٌ كريمةٌ أو حديثٌ شريفٌ صحيحٌ عارضهما بهواه ، وخالفهما بفعله ، واستخفّ بأحكامهما في سلوكه .

وليس معنى ذلك أنني أُغالي وأنفي أن يقعَ المسلم في معصية أو يُلمَّ بذنب ، أو أني أُكفِّر من يفعل ذلك كما هو شأنُ الخوارج المارقين ، **كلا ثمَّ كلا** ، فأنا أعلم أنَّ المعصومَ مَن عصمَه اللَّه وحده سبحانه ، وما من إنسان إلّا ويقع في الخطيئة قَلَّتْ أو كَثُرتْ ، ورسولُ اللَّه ﷺ يقول : « لو لم تُذنبوا لجاء اللَّهُ تعالى بقوم يُذنبون ليغفر لهم » .(١)

بل قد بيَّن النَّبي ﷺ خَطَراً أكبرَ من الذنوب ، ذلكم هو التكبُّر والإعجابُ

---

(١) رواه أحمد في « مسنده » عن ابن عباس ، وصححه أستاذنا الألباني في « صحيح الجامع » (رقم : ٥٣٠١) .

بالنَّفس ، وهو من المُهلكات ، فقال ﷺ : « لو لم تكونوا تذنبون لخِفتُ عليكم ما هو أكبرُ من ذلك : العُجْب ، العُجْب » .(١)

وقد اقتبس الشيخ ابن عطاء من ذلك حكمتَه المشهورةَ فقال - وصدق - : « رُبَّ معصيةٍ أورثت ذلّاً وانكساراً خيرٌ من طاعة أورثت عُجباً واستكباراً » .

أعرف - بحمد اللّه - ذلك لكنّ الذي أقصده غير ذلك ، إنّني أُنكر جدّاً أن يُذكّر مسلمٌ يخالف حكماً شرعيّاً أو أدباً إسلامياً بهذا الحكم أو الأدب وما وَرَدَ فيهما ، ويتثبّت من ذلكَ ، ثمَّ يعترض عليه ، أو يرفضه ، أو يناقشه بعقله القاصر ، ليسوِّغ مخالفته إيَّاه ، أو يصرَّ مع ذلك على رأيه بعد وضوح الحق له ، ولا يعترف بخطيئته ومخالفته !!

إنَّه من الطبيعيِّ أن يصدر من المسلم ذنوبٌ صغائرُ وربمّا كبائر ، ولا غرابة في ذلك ، ولكن من غير الطبيعيّ أن يصدر منه اعتراضٌ على حكم من أحكام اللّه سبحانه ، أو ردٌّ لتعليم من تعاليمه !

إنَّ من الممكن أن يقع مسلم في شرب الخمر أو الزنا أو السرقة أو حتى القتل ، لكن لا يجوز أن يقع مسلم أبداً في جعل عقله حكماً ، وهواهُ مرجعاً ، وتفكيره ميزاناً لأوامر اللّه سبحانه ونواهيه ، فلا يقتنع إلّا بما مالت إليه نفسه ، ولا يُقر إلّا بما قد فهمه عقله ، أو بما وجد له فيه مأرباً ومصلحة .

إن من المفهوم أن يقع مسلمٌ في الزنا نتيجة غفلة أو ضعف إيمان أو ظروفٍ خاصةٍ ، ثمَّ يرجع إلى نفسه فيندم ويقرُّ بذنبه ، ويلجأ إلى ربِّه ويستغفره تائباً منيباً بصدق وإخلاص ، ولو تكرّر هذا مئات المرات ، لكن من غير المفهوم أن يقع مسلم في الزنا ثمَّ يصرُّ عليه ولا يرجع إلى نفسه ، ولا يتوب ولا يؤوب ، ويسوِّغ فعله ويلتمس له الفتاوى من هنا وهناك ، وهو أوَّل العارفين ببطلانها .

وقد لا يجرؤ الكثيرون على الاعتراض على أحكام اللّه في مثل هذه الأمور

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » ، وحسّنه أستاذنا في « صحيح الجامع » (٥٣٠٣) .

المسلَّمة المعلومة من الدين بالضرورة ، ولكنَّهم يقعون في أشياء استهان بها كثيرٌ من النَّاس ، وحَسِبوها صغائر ، وهي عند اللَّه عظام .

كنت في مجلسٍ فشرب أخٌ كريمٌ بشماله ، فنبَّهتُه بلُطفٍ على أنَّ الواجبَ الشربُ باليمينِ ، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يحبُّ التيامُن في كلِّ شيء ، وذكرتُ له شيئاً مما فيه الوعيد للشارب أو الآكل بشماله وسردت له بعض ما ورد في ذلك ، فما كان منه إلّا أن قال : « ما فيها شيء ، اليمين والشمال كلاهما عضوان خلقهما اللَّه ! ولا فرق بينهما ! فلا تتشدَّدوا في الدين » !! فبيَّنْتُ له أنَّ اللَّه الذي خلق هذين العضوين أمَرنا امتحاناً لنا بواسطة نبيِّه ﷺ أن نُخصِّصَ اليمين بالأفعال الكريمة الشريفة ، والشمال بالأفعال المستقذرة ، فأصرَّ على رأيه ، وقال : إذا كنتُ متكئاً على يميني فأشربُ بيساري ، ولا حاجة لأن أُتعب نفسي وأغيِّر قِعْدَتي والدين يسرٌ !! وأعدت عليه القولَ : حقاً إنَّ الدين يُسرٌ ، لكن ليس معنى يُسره أن نسمح لأنفسنا الوقوع في المخالفات ونَفْشق عن أمر ربنا بالمحرمات ، فنحن مأمورون باجتنابها كلِّها ، فقد قال المصطفى ﷺ : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فَأتوا منه ما استطعتم »[1]، فالحرام واجب تركهُ ولم يقيد باستطاعةٍ بعكس الواجبِ ، فَيُؤَدَّى بحسب الاستطاعة ، لكنَّه أجاب : إنَّ هذه من الأمور الصغائر ولا خطر فيها ، وهي قشورٌ وعلينا أن نهتمَّ باللباب من الدين والجوهرِ من أحكامه !!

ويقع مثل ذلك كثيراً مع آخرين ، يلبس أحدهم خاتماً من ذهب ، أو ثوباً من حرير ، أو قُبَّعة خاصَّة بالكفَّار ، أو يعزف الموسيقى أو يستمعها ، أو يرتاد السينما أو يُؤخِّر الصلاة ، أو يُجامل أعداء اللَّه فيهنِّئ الكافرين بأعيادهم ، أو يحضر مجالس يُعصى فيها اللَّه ، أو يلعب النرد (الطاولة) ، أو يشرب قائماً ، وما شابه ذلك .

وهي جميعاً مُخالفاتٌ ظاهرةٌ تُخالفُ حقيقةَ النَّفسيةِ المستسلمةِ للَّه عزَّ وجلّ .

(... للبحث صلة)

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة .

اتِّهامُ أهلِ الحقّ بغير حقّ

علي بن حسن

حكى الإمام الذهبي في « سِيَر أعلام النبلاء » (١٣ / ١٧٤) : « أنَّه قيل لعبدالوهاب الورَّاق : إنْ تكلَّم أحدٌ في أبي طالبٍ والمَرُّوذي [١] ؛ أَمَا البُعدُ عنه أفضل ؟! قال : نعم ؛ **مَن تكلَّم في أصحاب أحمدَ فاتَّهِمْهُ** ، ثم اتَّهِمه ، فإنَّ له خِبئةَ سوءٍ ، **وإنَّما يُريدُ أحمدَ** » .

وهذا أُسلوبٌ حَلَزونيٌّ ملفوفٌ - **لكنَّه مكشوف** - للطعن بعُلماء السنَّة وحَملتها ، ودُعاتها ، الذين هم علاماتٌ هاديةٌ إليها ، وأَماراتٌ ساطعةٌ عليها .

إذ لما أيِسَ ذوو الأهواء المُضلَّة ، وأصحابُ المناهج المختلَّة من القَدحِ بدعوة الحقّ ، وبراهينها ، وحُجَجها ، رَأَوْا أنَّ (أسلم) طريقٍ لهم لإبعاد النَّاس عن هذه الدَّعوة الحقَّة هو الطَّعن برموزها ، والقدحُ بِهُداتها !!

ولكنْ صاحبُ هذا الأسلوبِ - أو هذه الطريقة - قد احترقت أوراقه ، وخابت رَمياته ، وتنبَّه أهلُ الحقِّ لهذه المصيدة المنصوبة لهم :

فقد روى أبو عُثمان الصابوني (رقم ١٦٤) والخطيبُ في « شرف أصحاب الحديث » (ص ٧٤) أنَّ أحمد بن الحسن قال لأحمد بن حنبل : يا أبا عبدالله !

(١) وهما من تلاميذ أحمد والآخذين عنه .

ذكروا لابن أبي قُتيلة بمكَّة أصحاب الحديث ، فقال : أصحابُ الحديث قومُ سوءٍ !! فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول : « زنديق زنديق » ، حتى دخل البيت !!

وعلَّق شيخُ الإسلام ابنُ تيمية على هذا الخبر في « مجموع الفتاوى » (٤ / ٩٦) - بعد إيراده - بقوله : « **فإنَّه عرف مغزاه** » .

نعم ؛ فإنَّ مغزى أهلِ الانحراف من المبتدعة وأشباههم معروفٌ لكلِّ مَن أنصفَ نفسَه ، فالميزان عند أهل السنَّة واضحٌ بيِّنٌ :

قال الإمامُ قُتَيبة بن سعيدٍ في « كتاب الإيمان » [1] : « إذا رأيتَ الرجل يُحِبُّ سفيان الثوري ، ومالك بن أنس والأوزاعي و ... و ... فاعلم أنَّه صاحبُ سنَّة » .

وفي « الكفاية » (ص ٤٨) للخطيب البغدادي أنَّ أبا زُرعة الرازي قال : « إذا رأيتَ الرجلَ ينتقصُ أحداً من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فاعلم أنَّه زنديق ؛ وذلك أنَّ الرسولَ عندنا حقٌّ ، والقرآنَ حقٌّ ، وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسُّننَ أصحابُ رسول اللَّه ﷺ ، **وإنَّما يُريدون أن يجرحوا شهودنا ليُبطِلوا الكتابَ والسنَّة** ، والجرحُ بهم أَولى ، وهم زنادقةٌ » .

إذَنْ ؛ فإنَّ مُراد الطاعنين ليس أولئك الأعلامَ أو أصحابهم ، أو من سارَ على نهجهم - بأشخاصهم - ، وإنَّما هو الدَّعوةُ الحقّ ، والمَهْيَعُ الرَّشيد ، والصِّراط القويم .

قال الإمام أحمد بن حنبل : « إذا رأيتَ الرَّجلَ يغمزُ حمّاد بن سَلَمة ؛ فاتَّهِمْهُ على الإسلام ، **فإنَّه كان شديداً على المبتدعة** » - كما في « السِّيَر » (٧/٤٥٠) - .

وعليه ؛ **فإنَّ الطَّعن اليومَ بعُلماء السنَّة** ؛ كابن بازٍ ، والألباني ، وابن عثيمين ، ونحوهم ، **أو تلامذتهم** الناشرين لعلوم الوَحيَين **هو طَعنٌ بالسنَّة ومنهجها ودعوتها** .

فليتنبَّه لهذا الخطر الدَّاهم المُخلصون من المسلمين ، والصادقون من طلبة العلم .

... وكلُّ ما سبقَ لا يُناقضُ **الحوار والتنبيه** ، إذ فَرقٌ بين هذا وبين **الإقذاعِ والتشويه** ... كما هو واضحٌ - بحمد اللَّه وتوفيقه - .

---

(١) كما في « عقيدة السلف أصحاب الحديث » (ص ١٠٨) .

١

مصائبُنا .. مَن وراءَها ؟!

الأسباب ، والعلاج

عدنان العرعور

للنَّاسِ في تحليلِ ما أصابنا وما يُصيبنا وما سيصيبنا من مصائب ، وكوارث ، وفقر ، وجوع ، وظلم ، وهزائم ، وسُجون ، واحتلال ، ونهب لأموالنا، وهدم لديارنا ، وفَشَل في ردّ كيد أعدائنا : مذاهبُ شتَّى ؛ منها ما يُنيطُ كلّ ذلك بأعدائها ، وقوتهم وبأسهم وتخطيطهم ، وكيدهم ، ومنها ما يرى أنَّ هذا كلَّه بما كسبت أيدينا ، ومن تقصيرنا في حق ديننا .

ولمعرفة الصواب من هذه المذاهب ننظر في ميزان ذلك ، ألا وهو ميزان الكتاب والسنَّة ، قال تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ... ﴾ ، ﴿ وما أصابك من سيّئة فمن نفسك ﴾ .

قال جمهور السلف : « من نفسك بذنبك » .

وقال قتادة : « عقوبة لك يا ابن آدم بذنبك » [١] .

ومجيء « مصيبة » و « سيئة » نكرةً في سياق النفي تُفيد عموم المعصية وعموم

(١) « تفسير ابن كثير » (١ - ٥٢٨) .

السيئة بلا استثناء ، صغيرةً كانت أو كبيرةً ، خارجية كان مصدرُها أو داخلية .

قال ﷺ : « ما اختلج عِرقٌ ولا عينٌ إلّا بذنب ، وما يدفع اللّهُ عنه أكثر » (١) .

وما حصل في غزوة أُحُد من هزيمة عُلِّق بما كسبت أيدي المؤمنين :

﴿ ... حتى إذا فَشِلْتُم وتنازعتم في الأمر وعَصَيْتُم ﴾ ، ﴿ أَوَلَمَّا أصابتكم مصيبةٌ قَد أَصَبْتُم مثليها قُلتم أنَّى هذا قُلْ هو من عند أنفسكم إنَّ اللّه على كُلِّ شيء قدير ﴾ .

وما حدث في حُنين من التولّي ، أُنيط بما كسبت أيديهم :

﴿ ويومَ حُنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تُغْن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرضُ بما رَحُبت ثم ولَّيتم مُدبرين ﴾ .

وقال ﷺ : « المصائبُ والأمراض والأحزان في الدنيا جزاء » (٢) .

فكيف يكون الجزاء ؟!

هل يكون ناراً من السماء تسقطُ ؟ أو ملائكة تَجْلِدُ ؟

كلّا ؛ ... إنَّه المرض والجوع والتشرُّد والتقتيلُ على أيدي الأعداء ، وغير ذلك ممّا نراه قد نزل بشديدِ بأسٍ على الساحة الإسلامية .

قال ﷺ : « خمسٌ بخمس : ما نقض قومٌ العهدَ إلّا سُلِّط عليهم عدوُّهم ، وما حكموا بغير ما أنزل اللّه إلّا فشا فيهم الفقر ، ولا ظهرت فيهم الفاحشةُ إلّا فشى فيهم الموت ، ولا طَفّفوا المكيال إلّا مُنعوا النبات ، وأُخذوا بالسنين ، ولا مَنعوا الزكاة

---

(١) « صحيح الجامع » (٥٥٢١) .

(٢) « صحيح الجامع » (٦٧١٧) .

إلّا حُبس عنهم القَطْر » [١] .

ولمّا هدم اللَّهُ سدَّ مأرب لم يُرجع اللَّهُ ذلك إلى أسباب مادية رُغم وجودها ، بل علّقها بإعراضهم وظُلمهم ، وأناط الفعلَ بنفسه ، ثم كرّر ذلك سبحانه : ﴿ فأعرضوا فأرسلنا عليه سَيْلَ العَرِمِ ﴾ ، ﴿ وظلموا أنفسَهم فجعلناهم أحاديثَ ومزّقناهم كلَّ ممزَّقٍ إنَّ في ذلك لآياتٍ لكلِّ صبارٍ شكور ﴾ .

ولو أردنا تتبّع الباء السببية في عقوبة الخلق في كتاب اللَّه لطال بنا المقالُ ... والعاقلُ يكفيه الدليل والدليلان .

وبناءً على هذا المفهوم كان أفرادُ الطائفةِ المنصورةِ الأُولى يُرجعون كلَّ مصائبهم وهُمومهم وأمراضِهم الفرديّة والجماعيّة إلى ما كسبت أيديهم .

حتى إذا شاكت أحدَهم شوكةٌ أرجع هذا إلى ذنبٍ فَعَلَه عملاً بقوله ﷺ : « لا يصيب رجلاً خدشُ عود ، ولا عثرةُ قدم ، ولا اختلاج عِرق إلّا بذنب ، وما يعفو اللَّهُ أكثر » [٢] .

قال ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبَهم فتنةٌ ﴾ : أي : عن أمر رسول اللَّه ﷺ وهو سبيله ومنهاجُه وطريقته وسنَّته وشريعته .. ، ﴿ أو يصيبهم عذابٌ أليم ﴾ أي : في الدنيا بتقتيل أو حدّ أو حبس أو نحو ذلك » [٣] .

---

(١) « صحيح الجامع » (٣٢٤٠) .

(٢) رواه ابن جرير (٨ / رقم ٩٩٦٩) ، وانظر « صحيح الجامع » (٧٦٠٨ ، ٧٦٠٩) (٥٦٣٩ ، ٥٦٢٤ ، ٥٦٩٤) .

(٣) « تفسير ابن كثير » (٣ / ٣١٩) .

وأوجز ابنُ القيم هذا فقال :

« فكلُّ نقص وبلاء وشرّ في الدنيا والآخرة فَسَبَبُهُ الذنوبُ ومخالفةُ أوامر الربّ ، فليس في العالم شرٌّ قط إلّا والذنوب مُوجبتها » [١] .

ولقد أصبح هذا المفهومُ الحقُّ ، الذي يجبُ أن نُرَبّي عليه جيل الصحوة – أي : ما أصابنا بما كسبت أيدينا ، وما أنعم اللّه علينا فبفضله ورحمته – لقد أصبح عند كثير من الدعاة والخطباء والوعاظ نسياً منسياً ، بل راحوا ينكرون على من يؤكد هذا المفهوم **بدعاوى باردة لا وزن لها في الكتاب والسنّة !!**

إنَّ من نافلة القول أن نقول :

إنَّ الجسم لا يمرض إلّا إذا كان ضعيفاً في مقاومته ، عليلاً في مناعته ، وأنَّ السدّ لا يُهدم من قوة الماء إذ لو كان يهدم من قوتها فَحَسْبُ ، إذن لما بقي سدٌّ على وجه الأرض ولكن السدّ يهدم من ضعف مقاومته .

إنَّ مَثَلَنا ومثلَ إخواننا : مثل الطبيب الذي يُغَذّي الجسم ، ويُقَوّي المناعة ، ويعملُ لوقايته حتى إذا جاءَه المرض – أيُّ مرض – صدَّه ، وفي نحره ردّه .

ومَثَلُهم كمثل الطبيب الذي يتحدّث عن الجراثيم وأنواعها ، والأمراض وأخطارها ، ويهمل مداواة الجسم ووقايته ، فتضعف مناعتُهُ ، فإذا جاءَه المرض – أيّ مرض – استفحل فيه وأهلكه .

ومَثَلُنا ومَثَلُهم : كمثل رجل رأى سيلاً قادماً فأنذر قومه :

فقام فريقٌ منهم – بصمت – يبنون سداً ، ويحفرون مجرىً ، ويدعمون بيوتهم ، ويحمون أهليهم .

---

(١) « المدارج » (١ / ٤٢٤) .

وقام فريقٌ آخرُ منهم يتحدّثون عن قوة السيل ، وعن ارتفاع الماء ، عن مصدره عن قوّة تدميره ، عن ما فعل بالقرية المجاورة ... وعن ... وعن ... فأشغلهم ذلك عن أهليهم وبيوتهم .

فأيُّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعقلون ؟!

ولقد اعتاد هؤلاء الدعاةُ أن يُلْقُوا تبعيّةَ ما يصيب المسلمين على أعدائهم ، وفضلاً عن أن هذا مخالفٌ للمنهج الرباني ، والهَدْي النبوي ، فإن فيه مفاسدَ عظيمة ، ومضارَّ بالغة ، منها :

أولاً : مخالفته لمنهج الكتاب والسنة في تحليل الوقائع .

فاللّه سبحانه ألقى تَبِعَةَ هزائمِ أُحُد وحُنين على المسلمين أنفسِهم لا على الكفار الّذين فعلوا ما فعلوا ، كما سبق بيانه .

بل إنَّ رسول اللّه لما شرع في القنوت يلعن الكفار ، أنزل اللّه قوله : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ فتدبّر .

ثانياً : تعظيمٌ للكفّار في نفوس المسلمين ، وأنهم وراء كل مصيبة تَحُلُّ بهم ، مما يزيد هيبة الكفار في نفوس المسلمين رَهَقاً .

ثالثاً : دبُّ الوهن واليأس والقُنوط في قلوب المسلمين الذين هم ضعيفو الإيمان، ضعيفو اليقين ، ضعيفو الفهم لهذا الإسلام ، ممّا يزيد الأمر وهناً على وهن .

رابعاً : إضعافُ الإيمان باللّه وأنّه القادرُ على كل شيء ، وأنّه القاهر فوق كل شيء .

خامساً : فيه تزكيةٌ للنفس ، بمعنى : أنّنا اسْتَكْمَلْنا شروط النصر ، واستحققنا التمكين ، ولكنّ الكفار غلبوا على هذا .. الأمر الذي يدفعنا إلى الأمر التالي :

سادساً : إهمالُ تربية أنفسِنا ومراجعةِ حساباتنا ؛ لأنَّنا اعتقدنا - خطأً - أنَّ المصايب ليست بسببنا ، بل هي بسبب الكفار الذين عَجَزْنا عن مقاومتهم ، وإذن فلا نلتفتُ إلى أنفسنا ، ولا نُصلح أعمالنا ، ولا يزداد قُرْبُنا باللّه الذي بيده النصرُ والتمكينُ .

سابعاً : سوءُ الظن باللّه العليّ القدير ، وأنَّه لم يَفِ بوعده في نصر المؤمنين .

ثامناً : إنَّ هذا يدلُّ على أنَّ الذين ينهجون هذا المنهجَ هم في أنفسهم ضعيفو اليقين باللّه ، ضعيفو التوكل عليه سبحانه ، ضعيفو العلم الصحيح والمنهج القويم ؛ علم الكتاب والسنَّة ، ومنهج الطائفة المنصورة ، لأنَّهم لم يعرفوا أصولاً أصيلة في الإسلام ، بل هي مُسَلّمات وبدهيّات ، لكل من تفقّه بالكتاب والسنة ، لا بالصُّحُف والإذاعات ، وجرى وراء المظاهرات والبرلَمانات .

وأخيراً : إنَّ تحميلَ المسلمين تَبِعَةَ ما يُصيبهم لا يستلزمُ أبداً تبرئةَ الكفار وأعداء الإسلام مما يفعلونَ بالمسلمين .

فهذا أمرٌ ، وذاك أمرٌ آخرُ ، لا يدركه إلّا الذين تربّوا على الكتاب والسنة ومنهج السَّلَف الصالح منهج الطائفة المنصورة .

وإنَّ اللّه لمّا علّق أسباب هزيمة أُحُد وحُنين بالمسلمين ، لم يلزم من هذا أنَّه سبحانه برّأ الكفار ممّا فعلوه بالمسلمين .

فتدبّر هذا حتى لا يُمَوَّه عليك به .

هذه هي - أخي المؤمن - بعض مضارّ مخالفة هذا المفهوم .

وأمّا **ثَمَراتُ الإيمان** بهذا التصوُّر ، والعمل به ، فهي كثيرةٌ ، وذاتُ نتائج طيبة .

(... للبحث صِلَةٌ)

مصادرُ التَّلقِّي عند أهل البِدَع

عبدالرحيم صَمَايل السُّلمي

مصدرُ التَّلقّي عند أهل السنة والجماعة هو الوحيُ ؛ نصوص الكتاب والسنَّة على فهم السلف الصالح رضي اللَّه عنهم .

أمّا التلقّي عند أهل البدع فله مصادرُ سيّالةٌ واسعةٌ فضفاضةٌ ، فإنَّه (يجوزُ) لكلّ مبتدع أن يستدلَّ بأدلّة غريبة عن الكتاب والسنة ، وبطريقةٍ عجيبة في النظر والاستدلال !!

ولذلك جاءت عن هؤلاء المبتدعةِ مقالاتٌ عظيمةٌ مخالفةٌ لروح الشريعة - وكلُّ البدع كذلك - ومخالفة لميزان الوحي المنضبط .

□ وفي هذه المقالةِ السريعةِ سوف أتحدّث عن أصول مصادر أهل البدع في التلقّي ، وهي ثلاثة مصادر :

١ - المصدر العقلي .

٢ - المصدر الكَشْفي .

٣ - المصدر المذهبي .

فهذا أوانُ البدء بالمقصود ، فأقولُ وباللَّه التوفيق :

◘ أولاً : المصدر العقلي :

العقلُ في الشرع هو مناطُ التكليف ، وأعني بالعقل هنا النَّظَر العقليّ العادي ، وهو ما يتيسّر للأُمّيين ونحوهم ممن لم يعرف علم الكلام والفلسفة والمنطق ، ولذلك فقد جاء في كتاب اللّه سبحانه وتعالى أدلّةٌ عقليةٌ على البعث والألوهية والنبوة ونحو ذلك .

والعقلُ السليمُ الخالي من الهوى والشُّبهةِ لا يُعارض النقلَ الصحيحَ الثابتَ بأيِّ حالٍ من الأحوال ، **والشرعُ لا يأتي بما تُحيله العقول ، بل يأتي بما تحارُ فيه العقول،** وذلك لأنَّ خالقَ العقل هو اللّه سبحانه ، والذي أنزل الوحيَ هو اللّه سبحانه، وقد جعل العقل موافقاً للوحي .

وأحسنُ تشبيهٍ لمكانة العقل من الوحي أن يُقال :

إنَّ العقلَ بمنزلة العين ، والوحيَ بمنزلة النور ، فإذا فُقد النور لم ترَ العينُ شيئاً أبداً ، فلا فائدةَ منها حينئذ ، وإذا فُقدت العين فإنَّه لا يستفاد من النور وحدَه شيءٌ .

والحاصلُ : أنَّ أهل السنَّة والجماعة لم يكونوا يُنكرون على من قصد بالعقل ما سبق بيانه ، بل يُنكرون تقديمَه على نصوص الوحي وإقحامَه في غير مجاله مما استأثر اللّهُ بعلم تأويله ، واتخاذه مصدراً للتلقي .

ومن هنا ، فأهلُ البدع من المتكلمين وغيرهم إذا قالوا : « العقل » فهم لا يقصدون « العقل » المعروفَ عند كل أحد ، بل يُريدون جهالاتِهم الكلاميةَ المسماة « القواطع العقلية » ! ثم بعد ذلك لا يَرى أحدُهم بأساً في ليّ أعناق النصوص الشرعية، ودلالاتِ الألفاظ بالتحريف والتأويلِ لتُوافقَ ما سمَّوه « العقل » زعموا .

وأوّل ما نشأ اتخاذُ العقل مصدراً للتلقي هو عند الجهمية [1] ، وتجلّى في أوضح صُوَرِه عند المعتزلة ، وأخذه الأشاعرةُ والماتريديةُ عن المعتزلة والجهمية .

---

(١) انظر « نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام » (١ / ٣٦٤)

وسبب ذلك أمران :

١ - ترجمة الكتب اليونانية الإغريقية في زمن المأمون وبعده ، وقد كانت تُقَدِّسُ العقلَ وتُعَظِّمُه .

٢ - ظهور ما يسمى بِـ « علم الكلام » ، وكان ذلك عندما برزت الفرقُ ، إذ انتصب للردّ عليها بعضُ المسلمين بطريقة القوم نفسِها ، ونشأ من جَرّاء المناظرة والردود ما يُسَمّى بِـ « علم الكلام » ، ومن هنا أصبح المصدرُ العمدةُ عند القوم هو العقل ، أما النصوص الشرعية فقد يَستدِلُّ بها المستدلُّ منهم على سبيل الاعتضاد لا الاعتماد .

وسوف أنقلُ لك أخي القارىء نموذجين يُوضّحانِ ما سبق بيانه :

أولاً : قال القاضي عبدالجبار المعتزلي : « إنَّ دليل العقل إذا مَنَعَ من الشيء فالواجبُ في السمع إذا ورد ظاهرُهُ بما يناقض ذلك الشيء أن يتأولّه ، لأنَّ الناصب لأدلة السمع هو الذي نصب أدلَّة العقل فلا يجوز فيها التناقض » [1] .

والمقصود بالسمع هو الدليل الشرعي .

ثانياً : قال الرازي الأشعري في كتابه « أساس التقديس » (١٦٨ - ١٧٣) : « إذا تعارضت الأدلةُ السمعيةُ والعقليةُ ، أو السمعُ والعقلُ ، أو النقلُ والعقلُ ، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية ، أو نحو ذلك من العبارات : فإمّا أن يُجمع بينهما وهو مُحالٌ ؛ لأنَّه جمعٌ بين النقيضين ، وإما أن يُرَدّا جميعاً ، وإمّا أن يُقَدّم السمع ؛ وهو محالٌ لأن العقل أصلُ النقل ، فلو قدّمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصلُ النقل ، والقدحُ في أصل الشيء قدحٌ فيه ، فكان تقديمُ النقل قدحاً في العقل والنقل جميعاً ، فوجب تقديمُ العقل ، ثم النقلُ إما أن يتأول وإما أن نعرض ، وإما إذا تعارضا تعارُضَ الضدّين امتنع الجمعُ بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما » !!!

---

(١) « المغني في أبواب العدل والتوحيد » (١٣ / ٢٨٠) .

ولمّا وُجد عند القوم من يقول بأنَّ العقل هو مصدر التلقي في العقيدة ضَعُفَ مقدارُ النصوص الشرعية عندهم ، وجاء من يقول بأنَّ : « دلالات الألفاظ لا تفيد اليقين » ، وردّ خبر الآحاد بحجة أنَّه من الظنيّات ، وقال قائلهم : « العمل بظواهر النصوص من أُصول الكفر » !!.

ولذلك ؛ ففي كثيرٍ من أبواب العقيدة يكونُ الاستدلالُ عندهم بالعقل ، مثل إثبات وجود اللَّه ، وأوَّل واجب على المكلف ، والصفات ، والإيمان ، ونحو ذلك .

◘ ثانياً : المصدر الكشفي :

علم المكاشفة عند الصوفية علمٌ يقينيّ مقدّمٌ على علوم الشريعة ، وهذه المكاشفة هي خَطَرَاتُ النفس ، ووساوسُها ، ومثل ذلك يكون فيه الحقُّ والباطلُ والصواب والخطأ ، وبعضُه قد يقع من الشياطين وبعضُه من أهواء النفوس ، ومع ذلك فالصوفية، يَرَوْنَ هذه الخطرات والتوهُّمات مصدراً في تَلَقّي المعرفة والدين .

ولذلك يقولون لأهل السنة : أنتم إسنادُكم ميت عن ميت ، أمّا نحن فنأخذ عن ربِّ العالمين مباشرة ! فيقولون : حدثني قلبي عن ربي !!.

وهم يُقَدِّمون الكشف على الكتاب والسنة ، ويحصلُ الكشفُ عندهم بالمجاهدات النفسية ، والخَلَوات وجمعِ الهمّة على ذِكْرٍ بِدّعِيّ ، وقد يكون شِركيّاً في بعض الأحيان .

ولا صِلَةَ لهذه الكشوف بالكتاب والسنة ولا تلازُمَ بينها ، ولا يشترط الصوفيةُ حصولَ التلازم ، فضلاً عن أن يكونَ الوحيُ هو الحاكم على الذوق والوجد والكشف ، ولم تكن هذه هي طريقةَ الرسول ﷺ وأصحابه في تَلَقّي المعرفة والإيمان .

ولا شك أنَّ التزكية وتطهير النفس مِمّا يزيدُ في العلم والمعرفة ، ولكنّ المقصودَ هو التزكيةُ وتطهيرُ النفس بطريقة أهل السنة والجماعة وهي الطريقة الشرعية ، وأما

طريقةُ الصوفية فهي بعيدةٌ كل البعد عن طريقة أهل السنة في التزكية للنفس ، قال أبو حامد الغزالي : « علم المكاشفة هو عبارةٌ عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة ، وينكشفُ من ذلك النور أمورٌ كثيرةٌ ... حتى تحصل المعرفةُ الحقيقيةُ بذات اللَّه وبصفاته الباقيات ... والمعرفة بمعنى النبوة والنَّبي ، ومعنى الوحي ... وكيفية ظهور المَلَك للأنبياء ، وكيفية وصول الوحي إليهم ، والمعرفة بمَلَكوت السموات والأرض »[1] .

وسوف أورد نماذج من الكشف الصوفي حتى يُعرف عملياً :

ذكر الجيلي في كتابه « الإنسان الكامل » (٢ / ٩٧ وما بعدها) أنَّه كُشفت له الحُجُب فرأى العالم عاليه وسافله وشاهد الملائكة جميعاً ، وأنَّه انتقل من سماء إلى سماء ، قال : « وفي هذا المشهد اجتماعُ الأنبياء والأولياء بعضهم ببعض ، أقمت فيه ... فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات اللَّه عليهم أجمعين والأولياء والملائكة العالين ، والمُقَرّبين وملائكة التسخير ، وكُشفت لي حقائقُ الأمور على ما هي عليه من الأَزَل إلى الأبد » .

تأمّل هذا الكُفْرَ الصراحَ البواح ممن يزعم الولاية ، وقد حصل له كلُّ ما سبق من العُلُوّ على الأنبياء وادّعاء علم الغيب والاطّلاع على أحوال كل شيء عن طريق الكشف .. مما لم يحصل مثله لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي اللَّه عنهم - ، وأئمَّة علماء المسلمين !!

ألا ترى أخي القارىء كيف أصبح « الكشفُ » مصدراً للتلقي عند هؤلاء الدراويش المتصوفة ؟!!!

وبالكشفِ الصوفيِّ يستطيع أنْ يعرف الإنسان الحديث الصحيح من الضعيف بمجرّد سماعه مع أنَّه أُمِّيٌّ جاهلٌ لا يقرأ ولا يكتب !!!

---

(١) « إحياء علوم الدين » (١ / ١٨) .

ولا شكّ أنَّ هذا هدمٌ لأركان الدين ، وطيٌّ لبساط الشريعة ، فلماذا إذن يُتعِبُ علماءُ الحديثِ أنفسَهم في طَلَبه والرحلة فيه ؟!!!

أمّا طلبُ العلم الشرعي وقراءةُ القرآن الكريم فيعتبره الصوفيةُ من علائق الدنيا الّتي ينبغي الزهدُ فيها :

قال الغزالي فيما ينبغي فعله للإنسان المكاشف : « ... ويجلس فارغ القلب مجموع الهمّ ، ولا يُفَرّق فكرَهُ بقراءة القرآن ، ولا بالتأمل في التفسير ، ولا بِكَتْبِ حديثٍ ولا غيره » (١) !

وقال عن الكشف : « ... المُوَفّقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسمع - يُريدُ الأدلّة الشرعية ! - فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرّروه ، وما خالف أوّلوه » (٢) !!

وقال عن الأدلة الشرعية : « فأما من يأخذ معرفةَ هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له قدم ولا يتعين له موقف » !!!

وبهذا القَدْرِ يتبين لك أخي القارىء اتخاذ الصوفية الكشف مصدراً للتلقي .

ثالثاً : المنهج المذهبي .

ترك النظر في الأدلة الشرعية والتعصب لآراء الرجال من خصال الجهل وضعف البصيرة ، ومن شيم الضَّعْف التي يُبتلى بها الإنسان فتعمى البصيرة وتغشى على عقله فلا يرى حسناً إلّا مايراه إمامهُ ، ولا صوابَ إلّا ما ذهب إليه ، وهذا هو الحاصلُ لمقلّدة المذاهب ؛ فإنَّ حقيقة تقليدهم لأئمتهم هو الالتزامُ بالطاعة المطلقة للإمام أو للطائفة ولو مع تبيُّن الحق وقوة الدليل .

---

(١) « الغزالي والتصوف » (ص ١٩٤) .

(٢) « إحياء علوم الدين » (١ / ١٠٤) .

وسببُ هذا هو الغلوُّ في الأفاضل ، وهو من أودية الباطل ، ومِن أمضى أسلحته أن يَرْمي المتعصّبُ كلَّ من يحاول ردَّه إلى الحق بِبُغض أولئك الأفاضل ومعاداتهم .

وقد حذّر الأئمة أتباعَهم مِن تقليدهم ، وأمروا بالأخذ بالحديث والسنَّة حيث أَخَذَ القومُ .

وقد جاء عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد أنَّهم قالوا : إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي .

وقالوا : لا يحلُّ لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه .

وقالوا : مَنْ ردَّ حديثَ رسول اللَّه ﷺ فهو على شفا هَلَكة .

ومع ذلك ؛ فإنَّ مقلّدة المذاهب لم يفقهوا ذلك ، بل أخذوا أقوالَ هؤلاء الأئمة وتعصَّبُوا لها ، وردّوا الأحاديث والسنن ، وخالفوا نصوص الشرع من جهة ، وأقوالَ أئمتهم من جهة أخرى ، فلم يطيعوا اللَّه ، ولا أطاعوا أئمّتهم ، فخَابوا وخسروا والعياذ باللَّه .

قال نشوان الحِمْيَري يتكلّم عن مُتَعَصّب :

إذا مـا جـئـتـه بـكـلام ربِّـي أجابَ مُجادلاً بكلام يحيى

ومن النماذج على اتِّخاذ المقلّدة أقوالَ أئمتهم مصدراً للتلقي ما يلي :

قال بعضُ المُتعصِّبة المُقلِّدة :

« الأصلُ أنَّ كل آية تخالفُ قولَ أصحابنا فإنَّها تُحْمَلُ على النسخ أو على الترجيح ، والأَوْلى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق » .

سبحان اللَّه !!! التوفيق بين كلام اللَّه سبحانه وكلام البشر !! إلى هذا الحد وهذه الدرجة ؟!!!

قال بعضُ الحنفية : « إذا نزل عيسى ابن مريم في آخِرِ الزمان فإنَّه يحكم بمذهب

أبي حنيفة »[1] .

ومنه الخلاف الشهير (بينهم) : هل يجوزُ الزواجُ للحنفي من الشافعية والعكس ؟!

وقاس من جوّز ذلك على الكتابية !!!

ومن التعصُّب الأعمى ما عمله الكوثريُّ الجهميُّ الحنفيُّ - المتعصّبُ الهالك عدوُّ أهل السُّنة - مِنْ قَدْحِه في زُهاء ثلاث مئةٍ من الأئمة والرواة من أهل الحديث ، ومنهم بعضُ الصحابة كأنس بن مالك ، وبعض التابعين كهشام بن عُروة وغيرهم ، كل هذا من أجل كلام أهل الحديث في أبي حنيفة من جهة الرأي ، وضعْفه في الحديث والرواية ، ولذلك فإنَّ من سماه « مجنون أبي حنيفة » لم يُجانبِ الحقيقةَ !

ومثله تلميذه مجنون الكوثري - بل الكوثريّ (**الصغير**) - الحنفي الصوفي !

ومن دلائل التعصُّب المذهبيّ الشديد أَنْ وَضَعَ بعضُ الحنفية حديثاً وهو : « سيأتي من بعدي رجل يقال له : النعمان بن ثابت يُكنى أبا حنيفة لَيُحْيِيَنَّ دين اللَّه وسنتي على يديه » ! وفي لفظ موضوع آخر : « هو سراج أمتي » !

أفلا يقال بعد هذا بأن التعصب والتقليد من أخطر البدع التي تُهَدِّد الأمة الإسلامية ؟!

وبعد :

فما سبق هو كلامٌ أَوَّليٌّ على هذا الموضوع المنهجي الخطير الذي أرجو من اللَّه أن يُهَيِّىء له من يكتب فيه كتابة موسعة ، إنَّه على كل شيء قدير ، وصلَّى اللَّه وسلَّم على محمد وصحبه أجمعين .

---

(١) « حاشية ابن عابدين » (١ / ٥٦) .

من مناهج أهل العلم في التأليف :
« المختصرات »

سليم بن عيد الهلالي

بعضُ إخواننا من طلّاب العلم الذين يُتابعون بِشَغَفٍ بالغ عملية بَعثِ تراث السَّلف العلمي من مرقده يَشكُون من ممارساتٍ تقعُ على الساحة العلمية ، وهذه الشكوى قد تكون بحق وقد تكون غير ذلك .

ومما طُرح في السنوات الأخيرة مسألة « المختصرات » العلميّة لكتب السابقين ؛ وقد تكلَّم فيها القاصي والداني بين مُؤيِّد ومعارض ، وكلٌّ يجلبُ بخيلهِ وَرَجِلِه ، ويركبُ الصَّعبَ والذَّلولَ لإثبات وجهة نظره وصواب رأيه .

ولي في هذا المقام تنبيهاتٌ مهمّات تُعيد المسألة إلى نصابها ، وتُصفّيها مما أصابها :

أحدها : إنَّ « المختصرات » ليست وليدةَ هذا العصر ، بل تجدُها في كلّ قرن وعصر ومصر .

الثاني : إنَّ أهل العلم من هذه الأُمَّة المرحومة درجوا على هذا السبيل القويم :

فها هو الحافظ الذهبي رحمه اللّه قد اختصر أكثر من خمسين كتاباً مثل :

- « تجريد أسماء الصحابة » الذي اختصره من « أُسْد الغابة » لابن الأثير .

- « المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال » انتقاه من « منهاج السنة النبوية » لشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية .

- « مهذب السنن الكبرى » من « السنن الكبرى » للبيهقي ، وغيرها [١].

ثم جاء الحافظ ابن حجر - من بَعْدِهِ - فهذب « تهذيب الكمال » في « تهذيب التهذيب » ، ثم قرَّبه في « تقريب التهذيب » .

الثالث : بل إنَّ بعض أهل العلم لخّص المختصرات كما فعل القاضي أبو المحاسن يوسُف بن موسى الحنفي في « المختصر من مشكل الآثار » لأبي الوليد الباجي ، حيث سماه « المُعتَصَر من المختصر من مشكل الآثار » .

الرابع : إنَّ الانتقاء والاختصار مقصدٌ من مقاصد التأليف كما قال ابن حزم رحمه اللّه في « رسائله » (٢ / ١٨٦) :

« وإنَّما ذكرنا التآليفَ المستحقة للذِّكر ، والتي تدخلُ تحت الأقسام السبعة التي لا يؤلِّف عاقلٌ عالمٌ إلّا في أحدها ، وهي :

إما شيء لم يُسبق إليه يخترعه ، أو شيء ناقص يتمُّه ، أو شيء مستغلق يشرحه ، **أو شيءٌ طويل يختصره دون أن يُخلّ بشيء من معانيه** ، أو شيء متفرق يجمعه ، أو شيء مختلط يرتّبه ، أو شيء أخطأ فيه مؤلفه يُصلحه » .

وابن حزم أول من أشار إلى هذه المقاصد ، وعنه أخذها مَن جاء بعده ، كما في « إضاءة الراموس » (٢ / ٢٨٨) .

وقد ذكرها حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١ / ٣٥) دون عزوٍ ، ولكن بتصرف يسير [٢].

---

(١) وقد ذكرها - جميعاً - الدكتور بشار عواد معروف في مقدمة « سير أعلام النبلاء » (١ / ٨٣ - ٨٨) .

(٢) وقد يعدُّها بعضهم من باب السرقة العلمية !! بل هو من مناهج المصنفين الأقدمين والمحدثين كما سنبينه بالأمثلة في مقالٍ قادمٍ إن شاء اللّه تعالى .

الخامس : إنَّ الانتقاء والاختصار لا يلزم منه تكرار ما كتبه الأقدمون ، أو اجترار ما هضمه السابقون ، بل فيه تقريب للبعيد وإظهار للمفيد .

قال حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١ / ٣٥) مُبَيِّناً بعضَ فوائد المختصرات :

« ... مختصرات تُجعل تذكرةً لرؤوس المسائل ينتفع بها المنتهي للاستحضار ، وربما أفادت بعض المبتدئين الأذكياء لسرعة هجومهم على المعاني من العبارات الدقيقة » .

وفيه أيضاً النافعُ الجديدُ ، كما قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه اللَّه في « تهذيب السنن » (١ / ٨ - ١٠) :

« ولما كان كتاب « السنن » لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِستاني - رحمه اللَّه - من الإسلام بالموضع الذي خصَّه اللَّه به ، بحيث صار حَكَماً بين أهل الإسلام ، وفصلاً في موارد النزاع والخصام ، فإليه يتحاكم المنصفون ، وبحكمه يرضى المحقّقون ، فإنَّه جمع شملَ أحاديث الأحكام ، ورتّبها أحسن ترتيب ، ونظّمها أحسن نظام ، مع انتقائها أحسنَ انتقاء ، واطِّراحِهِ منها أحاديثَ المجروحين والضعفاء .

وكان الإمامُ العلامةُ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم المُنذري رحمه اللَّه قد أحسن في اختصاره وتهذيبه ، وعَزوِ أحاديثه ، وإيضاح علله وتقريبه ؛ فأحسن حتى لم يكد يدع للإحسان موضعاً ، وسبق حتى جاء مَن خلفه له تبعاً ، جعلت كتابه من أفضل الزاد ، واتَّخذته ذخيرة ليوم المعاد ، فهذَّبتُه نحوَ ما هذَّب هو به الأصلَ ، وزدتُ عليه من الكلام على عِلَلٍ سكت عنها أو لم يُكملها ، والتعرُّض إلى تصحيح أحاديث لم يُصحِّحها ، والكلام على متون مُشْكِلَةٍ لم يَفتح مُقفَلها ، وزيادة أحاديث صالحة في الباب لم يُشِر إليها ، وبسطتُ الكلام على مواضع جليلة ، لعلّ الناظر المجتهد لا يجدُها في كتاب سواه ، فهي جديرةٌ بأن تُثنى عليها الخناصر ،

ويُعضّ عليها بالنواجذ ، وإلى اللّه الرغبةُ أن يجعله خالصاً لوجهه ، مُوجباً لمغفرته ، وأن ينفع به مَن كتبه أو قرأه أو نظر فيه أو استفاد منه ... » .

السادس : لذلك فالانتقاءُ والاختصارُ همزةُ وصلٍ بين الماضي التليد والحاضر السعيد ، لصُنع مستقبل مَجيد ، بإذن اللّه العزيز الحميد .

السابع : ولكن ينبغي مراعاةُ شرطِه ؛ وهو عدمُ الإخلال بمقاصد الأصل ، أو إسقاط شيء من معانيه ، وتبيان ذلك بوضوح وجلاء .

الثامن : وعليه ؛ فلا يحقُّ لكائن مَن كان أن ينكر على مَن اقتحم هذا الميدان ، فضلاً عن أن يزعم أنَّ هذا من كيد الشيطان لتشويه حضارة السلف العلمية ...

سبحانك ربي هذا من أعظم البهتان ، وإلّا افترى هذا القائلُ على مَن سبقونا بالعلم والفضل والإيمان .

التاسع : ولكن لا ننكر أنَّه قد ركب الموجةَ من هم دون ذلك ، كما صنع الصابوني المُعاصر في « مختصراته » في التفسير ، أو غيرُه .

العاشر : ولذلك فليكن المحققون لهم بالمرصاد ينخلُونهم نَخلاً ، ويقولون فيهم قولاً فصلاً ليس هَزلاً ، كما قام بذلك الأخ المِفضال الشيخ بكر بن عبداللّه أبو زيد في رسالته القيمة : « التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير » .

لعلَّهم يرعوون ، أو يتذكّرون فيرجعون ، ويستغفرون المولى مما يصنعون ، واللّه غالب على أمره ، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون .

١

إلى مواكب الصادقين ...

أم محمد الفاتح

الشيخُ حَمَد بن خليفة بن جابر بن حمود آل خليفة أبو محمد الفاتح ، من أوائل شهداء البوسنة والهرسك - نحسبه كذلك واللّه حسيبه ولا نزكي على اللّه أحداً - واحدٌ من الأتقياء الأخفياء الذين إذا سمعوا هيعة طاروا إليها ، تشهد على ذلك بطولاتُهم في الأفغان ، وأخيراً في البوسنة والهرسك .

هو واحدٌ من أبناء هذه الأمة الْبَرَرَةِ الذين صدقوا ما عاهدوا اللّهَ عليه ، واشتروا الجنّة الباقية بالدنيا الفانية ، والنعيم الخالد بالمتاع الزائل - إن شاء اللّه تعالى - ، قُتل يرحمه اللّه مُقبِلاً غير مدبرٍ ، وهو يذبُّ عن دماء وأعراض المسلمين في بلاد البلقان ؛ وفي البوسنة والهرسك على وجه الخصوص .

ووفاءً بحق هذا المجاهد الفاضل والبطل المقدام تنشر « **الأصالة** » هذه الكلمات بقلم زوجته الصابرة أم محمد آل خليفة - جزاها اللّه خيراً ، ورزقنا وإياها العقبى الحسنة - فقد كان لها الدورُ الرئيس بعد اللّه في دفع زوجها للجهاد ، وهي في ذلك من النساء اللّاتي عزَّ وجودُهنَّ في هذا الزمان .

ونترك القارىء الكريم مع زوجة الشهيد لتحكي لنا رحلة زوجها الجهادية من البداية إلى النهاية حتى آتاه اليقين ، فيا حبّذا الشهادة وقليلٌ أهلها ، وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء .

« **الأصالة** »

تقول الأختُ أُم محمدٍ زوجةُ الشيخ حَمَد أبي محمد الفاتح :

* أقولُ مستعينةً باللّه :

تـمَّ العقد بيني وبينه رحمه اللّه في سنة (١٤٠٧هـ) فوجدته إنساناً طيباً ذا خُلُقٍ ، لا يعرف الجدال ولا المكابرة ، ثمَّ بدأ التغيُّر في حياته ؛ لم يكن تغيُّراً خارجياً ، بل كان تغيُّراً مِن الداخل والخارج ، وقد وفّقني اللّه بفضله ومنّه - برغم تقصيري وإسرافي في أمري - إلى الوقوف معه ودفعه إلى الأمام ، خصوصاً وأنّه - رحمه اللّه - كان كالأرض الخصبة التي لا تريد من أيِّ إنسان بذل أي مجهود في زراعتها ، إنّما تحتاج إلى الماء فقط ، فعندما تُسقى بالماء تُثمر وتؤتي أُكُلَها بفضل ربها .

وهكذا كان رحمه اللّه - أحسبه كذلك ولا أُزكيه على اللّه - أرضاً خصبة بمجرد أنْ سُقيت بالماء أثمرت ، وقد مَنَّ اللّه عليَّ وأنا في الجامعة بأن أكون على صلةٍ دائمة بالجهاد وأخبار المجاهدين ، فكانت تُعقد عندنا ندوات ولقاءات لمناصرة مجاهدي أفغانستان وفلسطين ،وهكذا كنّا نعيش مع ذكر الجهاد دائماً ، وتُباع في مكتبة الجامعة مجلّات جهاديّة تصلنا من بيشاور ، أذكر منها « الجهاد » و « البُنيان المرصوص » و « المجاهد » ؛ فكنا نجتمع ونقرأ عن الشهداء ونتمنى أن نسلك الطريق الذي سلكوه .

ومن مكّة المكرمة أرسلت اشتراكاً لمجلّة « الجهاد » باسم زوجي ، وهكذا تشرَّب قلبي حبَّ الجهاد والمجاهدين ، وكنت إذا رجعت في الإجازات أجلس معه رحمه اللّه لنقرأ قصص الشهداء ، وكان يُنصت دون أن يعلّق ، كنت أُعطيه بعضَ الأشرطة التي يتكلّم أصحابها عن الجهاد ، وأطلب منه أن يسمعها ، وهكذا إلى أن تعلّق قلبه بالجهاد .

* إعداد العدّة للجهاد رغم المثبّطين :

وفي سنة (١٤٠٩هـ) أعدَّ عدّته للذهاب إلى أرض العزة والكرامة ، وقد استنكر الجميعُ ذهابه ، فنحن نعيش في مجتمع أخلد إلى الأرض ، وقيّدته الشهواتُ

الدنيوية ، ومن الطبيعي أن يُتهم كلُّ من يتطلّع إلى التحرُّر من هذه القيود الدنيوية ليُعيد لهذه الأمَّة مجدها وعزَّها بالجنون أو التزمُّت أو غير ذلك من الألفاظ .

كانوا يقولون له : كيف تترك زوجتك ؟ كيف تذهب إلى هذه البلاد التي لا تعرف فيها أحداً ؟ هل تريد أن تموت ؟ ساعدهم بأموالك ولا داعي للسَّفر !

ولكنَّه صمّم رحمه اللَّه وسافر ، وبقي هناك فترة في معسكر التدريب ، ودخل الجبهة أيضاً في المرَّة الأولى .

ثمَّ عاد إلى البحرين ، وجلس فترة والجميع يُحذّره من الذهاب مرَّة ثانية ، وكانوا يحاولون أن يقنعوني لكي أغيّر رأيه ، فأقول لهم : كيف أغيّر رأيه بأمر أنا مقتنعةٌ به ؟!

نعم ؛ لقد كنت أفتقده بشدَّة عندما يسافر ، فقد كان نِعْمَ الزَّوج ، ونِعْم الأخ ، ونِعْم الأب ، وكنت أشعر أنّني معه لا أحمل همّ شيء ، كأنَّ الدنيا بدون مشاكل ، وكنت أقول له دائماً : أنا أشعر أنَّ البحرين تكون خاليةً عندما تسافر ، وعندما تعود كأنَّ جميعَ الرجال قد عادوا معك .

نعم ؛ كنت أتجرّع الآلام عند فراقه ، وأشعر كأنَّ أحداً انتزع عُضواً من أعضائي ، ولكنّي كنت أكتم كل مشاعري وأصبّر نفسي ؛ لأني أعلم أنَّ هذا الدين لن يُنصر إلّا بالتضحية ، لا بدَّ من بذل الأرواح في سبيل اللَّه ، فإذا خافَت كلُّ واحدة منا على زوجها أو ابنها فَمن ينصر دين اللَّه !؟ والحمد للَّه ، ففي كلِّ مرَّة كان اللَّه - سبحانه - يُخَفّف عني أكثر من المرّة السابقة .

وكأنَّ اللَّه سبحانه وتعالى يُهيِّئني لما أنا فيه الآن .

* تعلُّق قلبه بالجهاد :

أقول : نعم ؛ كانت حياتي معه قصيرةً ، فقد كان رحمه اللَّه لا يُطيق البُعدَ عن أرض الجهاد ، فما إن يعود إلى الوطن حتى يُهيىء نفسه من جديد للسفر ، ولم يُقَدّر له اللَّه أن يُجرح ولو بجرح يسير في أفغانستان بالرُّغم من أنَّه كان يقول لي : إنَّ

الرصاص يأتي عن يميني وشمالي فلا يصيبني فماذا تقولين عندما أسافر ؟ فكنتُ أقول له : كنت أدعو اللّه تعالى أن يحفظك وأن يرزقك الشهادة بعد طول عمر وحسن عمل ، فيقول : نعم ؛ أعتقد أنّه بسبب دعائك .

ولكنّه رحمه اللّه في كلِّ مرّة يذهب إلى أفغانستان يُصاب بالملاريا إلى درجة أنّه من شدّتها كان يدخل المستشفى بل ينام في غرفة العناية القصوى ، وكان يتمنّى ويدعو اللّه أن تكون هذه الحُمّى بمثابة كلم في سبيل اللّه .

إلى أن مَنَّ اللّه عليه بالمشاركة مع إخوانه المرابطين حول مدينة جلال آباد في معارك الفتح الأخيرة ، فعاد رحمه اللّه وقد فاز بحُسنى النصر ، وأذكر أنَّ عمّتي أرسلت له تهنئةً تقول له فيه : « إلى الأخ المجاهد أبي خولة : بارك اللّه تعالى فيكم وجزاكم بخير أعمالكم ، إنّها إحدى الحسنيين وللّه الحمد ، فألف مبارك لكم ولإخوانكم ، وإلى ساحة أخرى بإذن اللّه ونصر آخر واللّه ولي الصالحين ، ﴿ إِنْ يَنصُرْكُم اللّه فلا غالبَ لكم ﴾ » .

ومن يوم أن عاد وهو يفكر أين سيذهب ؟! إلى كشمير !! أو إلى أرتريا !! أو إلى فلسطين !!

وكان التّفكير في هذه المسألة هو شغله الشاغل .

* توجُّهه إلى قتال الصّربيِّين في البوسنة والهرسك :

إلى أن بدأت أحداثُ البوسنة والهرسك ، والنشرات تُوَزِّع عن المذابح التي يتعرَّض لها إخواننا هناك ، فكان رحمه اللّه يتألَّم لحالهم ، وبدأ يفكّر في الذهاب هناك وعندما علم أنَّ مجموعة من الشباب العرب المجاهدين في أفغانستان قد ذهبوا إلى هناك بَدأ يعد العدَّة ، وكنت قد رجوتُه أن يؤجِّل سفره لمدّة شهر واحد لكي نذهب بولدنا محمد للعلاج ، ولكنّه كان يرفض ويقول : « رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف » ، وكنت أقول له : أنت تعلم حبي للجهاد ، وتعلم أني لا أمنعك ، بالعكس أنا أعلم أنَّ الجهاد فرض عين وأنَّ الأعراض تُنتَهك ولكن .. شهر واحد

فقط ... المعركة لن تنتهي ، فيقول : إنَّ اللَّه سيشفي ولدنا محمداً ؛ وسترين أنَّ في استشهادي - إنْ شاء اللَّهُ - شفاءَ محمدٍ ، واللَّه لم أرَ في حياتي إنساناً ينام ويصحو على ذكر الجهاد والاستشهاد مثله ، حتى في الرؤى ما كان يرى إلّا عمليات وهجوماً على الأعداء .. كانت الجنَّة والحور العين هي الحلم الذي يتمناه في كل لحظة ، لا يمر عليه يوم إلّا ويذكر الشهادة في سبيل اللَّه .

واللَّه ؛ لقد كنت أشعر بأنَّ اللَّه قد اختاره ، لم يكن شعوري هذا بسبب حبه للجهاد .. لا ! ولكني رأيت أموراً كثيرة تدلُّ على أنَّ اللَّه قد اختاره - أحسبه كذلك ولا أزكيه على اللَّه - .

* طَرُقَهُ - يرحمه اللَّه - لأبواب الخير والإحسان :

ما ترك رحمه اللَّه باباً من أبواب الخير إلّا وطرقَه بكلِّ ما يستطيع ولكن دون ضجيجٍ ، ومِن غير صَخَبٍ ، حتى إنَّ كثيراً من أعمال الخير التي يقوم بها لا أعلمها ، ولقد قال بعض الشباب بعد أن استشهد رحمه اللَّه : من سُيَجهِّز المجاهدين بعدك يا حمد ؟! فقد كان يتكفَّل بتجهير الغزاة في سبيل اللَّه ، وكان دائماً يتولى تجديد جوازاتهم ، حتى إنَّ أحد العاملين بالجوازات قال له : هل تعمل مُخلِّص جوازات ؟! - من كثرة ذهابه إليهم - فَضَحِك رحمه اللَّه وقال : لا ؛ هذا للمجاهدين ، وحتى غير المجاهدين كان رحمه اللَّه يبذل ما في وُسعه لتفريج كربهم ، فكم دعوة سمعتُها من كثيرين ممن ساعدهم في تخليص جوازاتهم لأداء عمرة أو حج رحمه اللَّه .. وعلمت أيضاً بعد استشهاده أنَّ العجائز والشيوخ كانوا يتردّدون عليه في مكتبه ، حتى الأطفال في حيّنا كانوا يقولون : من سيلاعبُنا بعد أبي خولة ؟! وجارتي تقول لي - يوم وصول خبر استشهاده رحمه اللَّه - أنَّ ابنها جلس يبكي ، ويقول : إنَّه كان يحضر لي دائماً الشوكلاته التي أحبها .. كنا عندما نخرج من البيت نراه يُسَلِّم على الأطفال في الشارع ، فأقولُ له : من هؤلاء ؟ يقول : هؤلاء أصدقائي ..

نعم ؛ علمتُ واللَّه أنَّ حياته قصيرة ، وقد كان رحمه اللَّه يُردّد على مسامعي

دائماً : أنا لن أعيش حتى أرى ولدي محمداً يذهب معي إلى المسجد ، فأقول له : ستعيش إن شاء اللّٰهُ حتى تزوج خولة ومحمداً ، فيقول : إنّها حياة طويلة ... أتُريدينَ أن أعيش إلى هذا الوقت ؟ كان يقول لزوج أخته ولأخ من إخوانه في اللّٰه – وهو ينظر إلى بيتنا الجديد الذي قارب على الانتهاء – : قولوا آمين ، فيقولون ، فيطلب منهم أن يُكرّروها ثلاث مرات ، فيقول : يا رب ما تسكن هذا البيت إلّا أم خولة وعيالها ، يا رب ما أسكنه ..

إننا بحاجة إلى أن نستشعر ما كنتَ تستشعر ، واللّٰه لو تمنينا الموت لوهبت لنا الحياة ، **إنَّ هذا الذلَّ الذي وَصَلنا إليه لم يكن إلّا بسبب حبِّ الدنيا وكراهية الموت** .

رحمه اللّٰه ورحم اللّٰه كل الأتقياء الأخفياء الذين علموا فعملوا ، علموا أنَّ هذه الحياة قصيرةٌ وأنَّ السعادة تنتظرُهم في دار النعيم فعملوا واستعدُّوا حتى ختم اللّٰه لهم بالخاتمة الحسنة .

* شهادةُ أهله وعارفيه فيه :

كنت أقول له : أنا سأشهد لك بين يدي اللّٰه يوم القيامة أنَّك من خير الناس لأهلك ، كان رحمه اللّٰه في القمّة – في نظري – في كل شيء ؛ في رقّته ، في حسن تعامله ، في أدبه ، في حُبّه للآخرين ، في قضاءِ حوائجهم ، في حُسن ظنّه بإخوانه ، في حِلمه ، في تواضعه ، في وقوفه عند حدود اللّٰه .

أُمّي كانت تقول يوم أن جاءنا خبرُ استشهاده : من أين سآتي بولد مثلك يا حَمد ؟! لم تكن زوجَ ابنتي فقط ، بل كنت ابني ، بل أنت تفعل لي ما لا يفعله لي أبنائي ، كانت عماته يقلن لي : لدينا أبناء أخ كثيرون ولكنْ حمد يختلف عنهم ، كان رَحِمَه اللّٰه بارّاً بأهله ، لا يقطع رَحِمَهُ ، بل كان يَصلُ الجميع حتى مَن لقي منهم مضايقاتٍ أو استهزاءً ، كان يزورهم ويجلس معهم ويُحدّثهم أيضاً عن الجهاد .

تخبرني جدّتي أنّه قبل سفره جاءها وقبّل رأسها ويدها وقال لها : سأراكِ يا أمي

في الجنَّة .. فقالت له : يا ولدي ستعود إن شاءَ اللَّهُ وسأراك في الدنيا أيضاً ، قال لها : لا يا أمي ستريني في الجنَّة بين الأشجار والأنهار وسأنتظرك هناك ، تقول عمتي : لأوَّل مرَّة أرى دمعة تنزل من عينه ، وكأنَّه يُودعنا حقاً دون رجوع .

* صدقَ اللَّهَ فصدقَه اللَّهُ :

لقد كان رحمه اللَّه يُردّد دائماً : أتمنى أن أُصاب برصاصة هنا وهنا - ويشير إلى رأسه وقلبه - فأُقتل وأدخل الجنَّة ، فأقول له : ولماذا رأسك وقلبك ؟ فيقول : لأنَّ قلبي كان يتمنّى بعض الذنوب والمعاصي في الماضي ، وعقلي كان يخطط ويُدبِّر ، فأنا أريد أن أتطهّر من ذنوبي بأن يُصاب هذان المكانان ، وقد استجاب اللَّه له وأُصيب برصاصة في جبهته ، وحينها تذكّرت الصحابي الذي قال للرسول ﷺ : ما اتّبعتك على هذا ، ولكن اتبعتك على أن أُضرب ها هنا - وأشار إلى حلْقِه - فأدخل الجنَّة -، وعندما رآه الرسول ﷺ وقد أُصيب في المكان الذي أشار إليه قال : « صدق اللَّه فصدقه » - وأنا أدعو اللَّه أن يكون زوجي قد صدق اللَّه فصدقه ، اللَّهم آمين .

* ابتلاؤه بمرض ابنه محمد :

ولعلَّ المرض الذي أصاب ابنه اختبارٌ له : هل يتراجع أم يواصل طريق الجهاد ؟ بالرُّغم من أنَّه كان يتألَّم لحاله بل إنَّه لا يَقَرُّ له قرار ولا يهدأ له بال إلّا إذا رآه يضحك ، وقد كانت ابتسامة محمد - كما يقول - تجعله فَرِحاً كما لو أنَّ قلبه ينفتح لابتسامته .

* حُسنُ معاشرتِه أهلَ بيته :

لم أسمعه مرَّة واحدة يقول لي : لقد أزعجني الأولادُ ، اخرجي بهم أُريد أن أنام ، بل إنَّه عندما يصحو من نومه ويراني مع محمد أحاول تهدئته والقراءة عليه طول اللَّيل ، كان يجلس معي ويقول لي : أعانك اللَّه لو كان يهدأ عندي لأخذته عنك لكي ترتاحي ، لأنَّ محمداً - عافاه اللَّه - لا يريد أحداً سواي في اللَّيل - هكذا كان

مع ابنه ومع ابنته ومعي .

لقد كان فريداً بين الرجال في حسن تعامله مع أهله ، وكما أنَّ النَّاس شهود اللَّه في الأرض فأنا أشهد له شهادة ألقى بها ربي - ولا أُزكِّيه على اللَّه - أنَّه كان محباً للجهاد ، وقد ملك عليه حبُّ الجهاد قلبَه .

* تألمه لأحوال المسلمين :

كان يتألَّم لحال المسلمين في العالم ويقول : لا يكفي أن نُمدَّهم بالمال ؛ إنَّ التي انتُهك عِرضُها أختي وأختك ، فيجب أن ندافع عن أعراضنا .

لم يكن رحمه اللَّه يُطيق أن يسمع كلمة من مسلم يقول فيها : إنَّ الجهاد فرض كفاية ! وكان يعلّق على ذلك قائلاً : أيُّ كفاية وقد ذقنا من الذُّل ما فيه الكفاية ؟! فيأتيني رحمه اللَّه وقد تغيَّر لونه وثارت أعصابه ، فأقول له : لا عليك ، المهم أن تبلغهم حتى لا تكون عليك حجَّة ، كان رحمه اللَّه يريد أن يثير حميَّتهم وحماسهم للدِّفاع عن المسلمين .

* من مكارم أخلاقه رحمه اللَّه :

كما أشهد له بالكرم فلم أسمع أبداً أنَّه قد ردَّ أحداً سأله حاجة ، وأشهد له بأنَّه كان حليماً يملك نفسه عند الغضب ، وقد كان رحمه اللّه رحيماً حتى مع الحيوان ، لا يستطيع أن يرى حيواناً يتألّم بل إنَّه يذهب بالحيوانات المريضة إلى العيادات البيطريّة الخاصّة .

وكما قلت : شعرتُ بقُرب رحيله لكثيرٍ من أعمال الخير التي كان يفعلُها ، وقد وفَّقه اللَّه سبحانه وتعالى لأدائها .

* رؤى صادقة :

وقبل سفره رأى رؤيا حدّثني بها قائلاً : لقد رأيت كأنَّ مجموعةً من المجاهدين يستعدُّون للذهاب إلى عمليّة ، فلما أردت أن أذهب معهم ، قال لي شخصٌ : لقد

اخترناك أميراً في البلقان ، ولم يكن وقتها يعلمُ أنَّ البوسنة من دُول البلقان ، فلما علم فَرِحَ فرحاً شديداً واستبشر خيراً بهذه الرؤيا .

وسُبحان اللَّه قد تحقّقت هذه الرؤيا فور وصوله إلى البوسنة ، فقد اتصل بي أحدُ الإخوان من هناك يُبلّغني سلامه ويقول لي : لقد اختير أميراً لمجموعة من المجاهدين العرب ، كذلك أذكر أنَّ أخي رأى له رؤيا وأخبره بها قال له : رأيتك مُمدَّداً أمامي وقد أصابتك رصاصةٌ في جبهتك ، وكنت كالنَّائم ، فهذه كلها كانت كأنَّها مبشرات ، والعلم عند اللَّه وحدَه .

وأذكر أنَّه - رحمه اللَّه - كان يجلس طولَ اللَّيل يقرأ في كتب الجهاد وكنت أمزح معه عندما أراه وقد فتح كتباً كثيرة على الطاولة وأقول له : بدأت تُحضّر للشهادة ؟! فيبتسم لي وكأنَّه يقول : نعم ؛ أنا أحضِّر ولكن لشهادةٍ أخرى لا الشهادة التي تقصدينها ، بعد ذلك يقوم ليصلي ،وكنت أراقبه وهو يظنُّ أني نائمة ، واللَّه لا أزال أرى صورته بين عينيّ وهو يلبس لباس المجاهدين الأفغان وقد رفع يديه يدعو ولا أسمع إلّا كلمة الشهادة تتردّد على لسانه ودموعه تبلِّل لحيته يبكي بصوت منخفض ويتضرَّع إلى اللَّه بأن يرزقه الشهادة وأدعو اللَّه أن يكون قد نالها .. اللَّهمَّ آمين .

وكانت إحدى قريباتي قد رأت رؤيا كنت معها وهي تقرأُ على محمد تقول : كنت أقرأ عليه (الفاتحة والمعوذات) وأكرِّرها إلى أن سمعتُ أذان الفجر - في الرؤيا - مع التكبير ، كان محمد قد تغيَّر حاله ، ووقف وعاد كما كان في الوقت نفسه ، تقول : دخل شخصٌ - تعرفه من الأهل - يُخبرها عن استشهاد حمد ، تقول : كنت أقول في الرؤيا : ماذا أقول لها يوم أن شفي ولدها : قتل زوجها ؟! تقول : فأخبرتك وحمدت اللَّه ، وقلت : أنا أعددت نفسي لهذا اليوم - هذه الرؤيا أيضاً كانت قبل سفره رحمه اللَّه - .

(... للبحث صلة)

كلمةُ حقٍّ في فُتيا العلّامة

محمَّد ناصر الدِّين الألبانيّ

حولَ هجرة المُضطَهَدين مِن المُسْلِمين

محمد إبراهيم شقرة

مَا أشبَهَ اللَّيلَةَ بالبارحة .. حيثُ الأُمَّةُ مُمَزَّقَةٌ ، والعَدُوُّ مُسَيْطِرٌ ، والواقعُ مريرٌ ..

فها هي ذي خمسةُ قرونٍ مَضت على فاجعةِ **الأندلس** ، بكلِّ مآسيها ، وظلامها ، وشدَّة ضَنْكِها ...

ومنذ نحو خمسة (عقود) سيطر إخوانُ القِرَدةِ والخنازير على الأرضِ المُباركةِ ؛ أرضِ **فلسطين** الطُّهُور .. مِمَّا جَعَلَ أهلَها يُقاسون مِن حِقْدِ اليهُودِ ، وشديدِ عداوتِهم ما اللَّهُ به عليمٌ ..

ففي فاجعةِ الأندلسِ تلك أفتى العَلّامةُ أحمدُ بن يحيى الوَنْشَرِيسيُّ المتوفى سنة (٩١٤هـ) بوجوب الهجرة مِن الأندلس **على كُلِّ مَن تعرَّضَ لفتنةٍ في دينِه أو نفسِه** ؛ حيثُ صنَّف رسالةً مستقلَّةً في هذا الموضوعِ ؛ سمَّاها « أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلبَ على وَطَنِهِ النَّصارى ولم يُهاجر ، وما يترتَّبُ عليه من العقوبات والزواجر » [١] .

وبنحوِ فُتيا العلّامة الوَنْشَرِيسيّ أفتى العلّامةُ المحدِّثُ الفقيهُ محمَّد ناصر الدين

(١) وهي تحت الطبع بتحقيق الأخ علي بن حسن .

الألبانيّ مقهوري المسلمين في القرن العِشرين ، تطبيقاً لحكم اللّه ، والتزاماً بسُنَّةِ رسول اللّهِ ﷺ ، وعَمَلاً بما اتَّفقت عليه كلمةُ عُلماءِ الأُمَّةِ .

.. والفرقُ بين الفَتْوَيَيْنِ أنَّ الوَنشَرِيسيّ لَقِيَتْ فتواه آذانَ مُؤمنين صادقين ، استجابوا له ، وعظَّموا شأنَه ، فوقعت فتواه منهم موقعَ القَبولِ والرِّضا .

أمَّا فتوى العلّامة الألبانيّ ، فلم تجد مِن قِبَلِ بعض **غوغائيّي العصر** إلّا الرَّفضَ ، **والاتّهامَ** ، والتحويرَ ، **والتَّزويرَ** .. ولكنَّ هذا كلَّه مِمَّا يَرفعُ اللّهُ به درجةَ الشَّيخِ عنده - سبحانه - بإذْنِه ، وَيُسقطُ به قَدْرَ الطَّاعِنين الحاقدين الجاهلين ..

﴿ فأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وأمَّا ما ينفعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ في الأرضِ ﴾ .

واللّه وليُّ الصادقين .

وحتى لا يكونَ سبيلٌ أو حُجَّةٌ علينا ، أنَّنا لم نَجْلُ حقيقَة فتوى الشيخِ ، في هِجْرَةِ أهل فلسطين عن أرضها - كما أذاعَها ، ونشَرَها ، ورَوَّجَها أولئك المهيِّجون - فلا بُدَّ أن نُبَيِّنَها - حقيقةً - **كما أرادها الشيخُ ، وأفتى بها ، لا كما صوَّرها الخصوم !**

فنقولُ وباللّه التوفيقُ ، ومنه العونُ والتَّحقيقُ :

أوَّلاً : الهجرةُ قرينةُ الجهادِ ، ماضيان معاً إلى يوم القيامة ، كما قال ﷺ - فيما رواه أحمدُ وغيرُه - : « لا تنقطعُ الهجرةُ ما دامَ الجهادُ » ، **وإجماع الأمَّة مُنعقِدٌ على ذلك** ، وأمَّا قولُه ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح » فإنَّه يُرادُ به - خصوصاً - الهجرة الأولى من مكَّة إلى المدينة ، **وعلى هذا جماهيرُ العلماء** :

قال الإمامُ ابنُ كثيرٍ في « البداية والنهاية » (٤ / ٣٢٠) بعد إيرادِه الأحاديثَ التي وردَ فيها النَّهيُ عن الهجرةِ بعد الفتحِ :

« وهذه الأحاديثُ والآثارُ دالَّةٌ على أنَّ الهجرةَ قد انقطعت بعد فتح مكَّةَ ، لأنَّ النَّاسَ دَخَلُوا في دينِ اللّه أفواجاً ، وظَهَرَ الإسلامُ ، وثَبَتَت أركانُه ودعائمُه ، فلم تَبقَ

هجرةٌ ، اللَّهمَّ إلّا أنْ يَعْرِضَ حالٌ يقتضي الهجرةَ بسبب مُجاورةِ أهل الحربِ ، وعدم القُدرةِ على إظهارِ الدين عندهم ، فتجبُ الهجرةُ إلى دار الإسلام ، وهذا ما لا خلافَ فيه بين العُلماءِ » .

وقد ذكرَ الإمامُ ابنُ العربي المالكي في « أحكام القرآن » (١ / ٤٨٤) أثناءَ تفسيرِ قول اللَّه تعالى : ﴿ ومن يُهاجِر في سبيلِ اللهِ يجدْ في الأرضِ مُراغَماً كثيراً وَسَعَةً ومَن يخرجْ من بيتِه مُهاجراً إلى الله ورسولِه ثمَّ يُدْرِكْه الموتُ فقد وَقَعَ أجرُهُ على اللهِ وكانَ اللهُ غَفوراً رحيماً ﴾ فقال - رحمه اللَّه - ضِمن بيانِه أنواعَ الهجرة :

« ... الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلامِ ، وكانت فرضاً في أيام النَّبي ﷺ ؛ **وهذه الهجرةُ باقيةٌ مفروضةٌ إلى يوم القيامةِ** » .[1]

وها هُنا تنبيهٌ مُهمٌّ جداً ؛ وهو أنَّ الفُتيا - في أصلها - لَيسَت مُوَجَّهةً إلى أهلِ فلسطين وحدهم ، ولكنَّها موَجَّهةٌ إلى كُلِّ من ينطبقُ عليهم مَناطُ هذا الحُكْمِ المُتَّصِل بالخَشْيَةِ على الدينِ والنَّفسِ .

وبمثلِ هذا أفتى كبارُ علماءِ الإسلامِ في حالاتٍ مُشابهةٍ مُماثلةٍ في القرونِ الماضيةِ ؛ كَفُتيا شيخ الإسلامِ ابن تيمية المتوفى سنة (٧٤٨هـ) ، لأهلِ مارِدِين - وهي مدينةٌ في الشامِ احتلَّها العَدُوُّ الكافِرُ آنذاك - ؛ لمَّا سُئلَ عنهُم : هَل تجبُ عليهِم الهجرةُ ؟ فقال رحمه اللَّه - كما في « مجموع الفتاوى » (٢٨ / ٢٤٠) - :

« والمقيمُ بها إن كانَ عاجِزاً عن إقامةِ دينِه وجَبَت الهجرَةُ عليه ، وإلّا استُحِبَّت ولَم تجِب » .

وبنحوِ ذلك أفتى العلامة محمدٌ العبدوسي المتوفى سنة (٨٤٩هـ) مُسلِمِي غِرناطةَ - آخر معاقل الإسلام في الأندلس - عند سقوطها بأيدي الكُفَّار ؛ كما في

---

(١) ونقله عنه القُرطبي في « تفسيره » (٥ / ٣٤٩ - ٣٥٠) وأقرَّه .

كتاب « الحديقة المستقلَّة النَّضِرَة » .[١]

ثانياً : من عظيم الحكمةِ الإلهيةِ أنَّ اللَّه سبحانه لمَّا شرعَ الهجرةَ أوَّلَ ما شَرَعَها إنَّما كانت من أقدسِ أرضٍ وأعظمها حُرمةً عنده ، وهي مكَّةُ ، وناطَها بأعظمِ إنسانٍ وأحبِّه إليه ، وهو رسولُ اللَّه ﷺ .

ثالثاً : من عجيبِ الأمرِ وأقبحه !! أنَّ بعضاً ممَّن طَعن على الشَّيخِ في فتواهُ قد ذكر أنَّ الهجرة من عمَّان إلى تلّ أبيب ، ومن الرياض ، والقاهرة ، والجزائر ، وتونس إلى تلّ أبيب أحبُّ إليه ! بل هي الهجرة التي يجبُ أن تكونَ لمن أرادَ أن يُهَاجِرَ ، لأنَّ حرِّيَّةَ الإنسانِ في تلّ أبيب مصُونةٌ أكثرَ منها في بلادِ الإسلامِ !!

وهذا قلبٌ لحقيقةِ الدينِ ، وواقع المسلمين .

رابعاً : ومن عجيب الأمرِ وأقبحِه !! أنَّ الذي يُعَارِضُ فتوى الشيخِ بمثلِ ذاك الكلامِ يجدُ تأييداً شديداً من العامَّة ، وتَطْبيلاً ، وتَزْميراً كما يُقال !

ورَحِمَ اللَّهُ من قال في بيانِ أصنافِ النَّاس : « **وَهَمَجٌ رَعاعٌ أتْباعُ كلِّ ناعق ...** » !

خامساً : ومن عجيب الأمرِ وأقبحِه !! أنَّ المُطَبِّلين المُزَمِّرين لهؤلاء النَّفَر – فضلاً عن هؤلاء النَّفر أنفسِهم – لم يتكلَّفوا جَهْداً في الوقوفِ على حقيقةِ فتوى الشيخِ ليَعْرِفوا صَوَابَها مِن خَطَئِها ، بَل راحوا يُجمِّعون أضرابَهم من أشباهِ العامَّةِ ويَسْتَعدُونَهُم ، فنَشروا فتوى الشَّيخ مُجَزَّأةً مُقطَّعةً في الكُلِّياتِ الجامعيَّة ، وبين المثقَّفين وأشباه المتعلِّمين ، ليُكَثِّروا من سوادِهم !

فيا حسرةً على العلمِ ، أودى به أهلُهُ ، حتى انتقَضَ في أيديهم حَبْلُهُ !!

سادساً : ومن البداهة بمكانٍ أنَّ مِثلَ الشَّيخ ؛ في مَعرفتِه ، ودقَّةِ علمِه وغزَارَتِه ، يَبْعُدُ عنهُ – جداً – أن يُطلق فتواه من قيودِها ، لتصيرَ أُغْنِيَّةً من أغانيِّ الشيطانِ يُغَنِّيها – عَزفاً على مزاميره – فوقَ المنابرِ ، وفي المساجدِ ، والمجتمعات الخاصَّة والعامَّة

---

(١) انظر مقدِّمة تحقيق « الإفادات والإنشادات » (ص ١٢ – ١٣) للشاطبي .

أولئك المفترون .

إذنْ ؛ فإنَّ أولئك القوم ، **اهتبلوها فُرصةً ثمينةً ضدَّ الشَّيخ** ؛ يطعَنون عليه بها ، وينالونَ من عِرضِه ، ودينِه ، وعلمِه ، وما علموا أنَّه - وهو عالمُ السُّنة في زماننا - لحمُه مسمومٌ ، وقد صان اللَّهُ عِرضَه ، وحماه في دينِه ، وأظهرَه على النَّاسِ في علمِه ، فلْيَفرَحوا قليلاً ، ولْيَحزنوا كثيراً !! جزاءَ ما صَنَعُوا .

قال الإمامُ ابنُ عساكر في « تبيين كذب المُفتري » (ص ٢٩ - ٣٠) :

« اِعلمْ - يا أخي - وفقنا اللَّهُ وإيَّاكَ لمرضاتِه ، وجعلنا ممّن يخشاه ويتّقيه حقَّ تُقاتِه ، أنَّ لحُوم العُلماءِ مسمومة ، وعادةُ اللَّه في هَتك أستارِ مُنتقِصِيهم معلومة ، لأنَّ الوقيعة فيهم - بما هُم منه براءٌ - أمرٌ عظيم ، والتناوُلَ لأعراضِهم بالزُّورِ والافتراء مَرتَعٌ وخيم ، والاختلاق على مَن اختاره اللَّه منهم لِنَعْش العلم خُلُقٌ ذميم .. والارتكاب لنهي النَّبي ﷺ عن الاغتيابِ جسيم ، ﴿ **فَلْيحذَر الذينَ يُخالفونَ عن أمرِه أن تُصِيبَهُم فِتنَةٌ أو يُصيبَهُم عذابٌ أليمٌ** ﴾ » .

سابعاً : وعلى فَرَضِ أنَّ الشيخ حفظه اللَّه أخطأ في فتواه ، فهل يستحقُّ من المشايخ والدكاترة كلَّ هذا ؟! وقد كان فريقٌ منهم بالأمس القريب ، يُثْنون على فضْل علمه هَمْساً (!!) خشيةَ أن ينالوا شرّاً بالثَّناء عليه (جهراً !!) ولقد علموا أنَّ مَن أثنى عليه أو أصابه بلسانِه بأذى فهُما عندَهُ سَوَاءٌ ، **وإلّا فما كان ليكونَ الشيخُ ناصرٌ - اليومَ - هو الشيخَ ناصراً !!**

ثامناً : وليس بغائبٍ عن الشيخ - حفظه اللَّه - عندما أفتى فُتياهُ أنَّ أذىً كثيراً سيلحقُه بفتواه ، وبخاصَّةٍ إذا لم تُستَوْفَ بكلِّ جوانبها وأجزائها مِن قِبَلِ سامعيهِ - كما حَدَثَ فعلاً من عددٍ من المشايخِ والدكاترة ، الذين يَحفظونَ جمعياً : ﴿ **ولا يَجرِمَنَّكم ...** ﴾ والبقيَّةُ في أهلِ الكتابِ عندهم ! و﴿ **إنْ جاءكُم فاسِقٌ بنبأٍ ...** ﴾ والبقيَّةُ أيضاً عندهم - ، لكنَّ المشايخَ والدكاترَة يُعذَرون (!) في مواقِفِهم وكلامِهم

السَّيِّئ القبيح في الشيخ ، فهم بِحَسَدِهم ليسوا ببالغي شيءٍ ممَّا أفاءَ اللَّهُ به عليه ، من علمٍ وَعَملٍ ودعوةٍ وجهادٍ .

تاسعاً : هذه الفتوى من الشيخ ليست جديدةً - كما أوهم أولئك الحاقدون ولَبَّسوا ودلَّسوا - فقد سُئِلَها مرّاتٍ **منذ عِدَّة سنوات ، وهي مبثوثةٌ في عدَدٍ من الأشرطة** ، ومن الظُّلم أن تُؤخذَ مُقَطَّعةً ، مُجزَّأةً ، مُضافاً إليها سوءُ الظَّنِّ أو ظَنُّ السُّوء .

ومما يثيرُ الدهشةَ والتساؤلَ في آنٍ معاً : **لِمَ تُبعثُ هذه الفتوى - الآنَ - من جديدٍ ، وتُشاعُ في النَّاس في هذا الوقتِ** ، مع العلم أنَّها من الفتاوى القديمة ؟!!

جوابُ ذلك عند المشايخ والدُّعاةِ الذين يُعِدُّون العُدَّةَ **للانتخاباتِ** !! أي واللَّهِ ؛ أو عند **الانتخاباتِ** نفسِها ، فالفرق بين **الانتخابات** وبين الذين يُعِدُّون أنفسَهم لها ، كالفَرقِ بين الأوكسجين والهَيْدروجين في الماء !!

عاشراً : ثُمَّ إنَّنا نسألُ المُشَنِّعين على الفُتيا ، **والناشِرين لها** - في آنٍ معاً - : مَن الذي كَدَّ وجدَّ في استنساخ أشرطةِ الفتوى وتوزيعها ؟!

هل هُو الشيخ ؟! أم تلاميذُه ؟! أم هم الشانئون المُنكِرون أنفسُهم ؟!

كُلُّ واحدٍ يعرفُ الجواب مِن دونِ ارتياب ، ويعرفُ - بالتَّالي - **دوافعَه الحقيقيّة وبواعِثَهُ !**

حادي عَشَرَ : ومن أراد معرفة حقيقةِ الفتوى تامَّة ، **فلْيَتَّقِ اللَّهَ ربَّه أوّلاً** ، ثمَّ لْيَجْمَع أجزاءها ثانياً ، ثمَّ لْيَفْهَم ما يَعني الشيخُ ويريدُه بفتواه ثالثاً ، وكان خَيراً له لو أنْهَز هِمَّتهُ العلميّةَ القَعْسَاءَ !!! وشَحَذَ سِكِّين تقواه المُثَلَّمة !!! وفَهِمَ عن الشيخ مُرادَه ، من غير حاجِبٍ ، ولا تُرجُمانٍ ، ولا أفّاكٍ (هائجٍ) ، ولا مُتعالِمٍ (مُخْتَلِطٍ) ، ولا مُغرضٍ (باهت) !!

ثاني عشر : نُرَتِّب فتوى الشيخ بأجزائها المُؤتلفةِ المُتفرّقةِ في نقاطٍ واضحةٍ

محدَّدة :

- الهجرة والجهاد ماضيانِ إلى يومِ القيامةِ .
- ليست الفُتيا مُوَجَّهةً إلى بلدٍ بعينِه ، أو شَعْبٍ بذاتِه .
- وقد هاجر أشرفُ إنسانٍ وأعظمهُ محمدٌ عليه الصلاة والسلامُ ، من أشرفِ بُقعةٍ وأعظمِها ؛ مَكَّةَ المكرَّمة ، وكلُّ إنسانٍ - مُنذ خُلق النَّاسُ وإلى قيامِ الساعةِ - دون محمَّدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ منزلةً ، وكلُّ بقاع الأرضِ دون مكَّة شرَفاً وقُدْسيَّة .
- وتجب الهجرةُ حين لا يجدُ المسلمُ مُستقَرّاً لدينه في أرضٍ هو فيها ، أو امتُحِنَ في دينِه فلم يَعُد في وُسْعِه إظهارُ ما كلَّفه اللَّهُ به من أحكامٍ شرعيّةٍ ، أو خَشِيَ أن يُفتَنَ في نفسه من بلاءٍ يَقعُ عليه ، أو مسٍّ أذى يُصيبُه في بَدنِه فينقلبُ به على عَقِبَيه .

وهذه النقطة هي مناطُ الحُكم في فتوى الشيخ والـمُرتكزُ الأساسُ فيها - لو كانوا يعقلون ! - وبها يرتبطُ الحُكمُ وجوداً ونفياً .

ولكنْ - وللأسف الشديد - **قد غيَّبَ ذلك وأخفاهُ وَكَتَمَهُ** الناقِدون الحاقِدونَ الحاطِبون في مُحاضراتهم و (ملاحِمِهم) المنبريّة !!

قال الإمامُ النَّووي في « روضة الطالبين » (١٠ / ٢٨٢) :

« المسلم إذا كان ضعيفاً في دارِ الكُفرِ ، لا يقدرُ على إظهار الدينِ حَرُمَ عليه الإقامةُ هُناك ، وتجبُ عليه الهجرةُ إلى دارِ الإسلامِ ... » .

- وحين يجدُ المسلمُ مَوضعاً - **داخلَ القُطْرِ الذي يعيشُ فيه** - يَأْمَنُ فيه على نفسه ودينِه وأهلِه ، ويَنْأَى فيه عن الفِتْنةِ التي حلَّت به في مدينتِه أو في قريتِه ، فعليه - إنِ استطاعَ - أن يهاجرَ إلى ذلك المكان داخلَ قُطرِه نفسِه ، وهذا أوْلى - ولا شكَّ - مِن أن يُهاجرَ إلى خارجِ قُطرِه ، **إذ يكونُ أقربَ إلى بلده ليُسرعَ بالرجوعِ إليه بعد زوال السَّببِ الذي من أجله هاجَرَ .**

وهذه نُقطةٌ أخرى - أيضاً - قد غيَّبها أولئك (القوم) الذين لم يَرْقُبوا في

الشَّيخ ، والعلم ، والنَّاس ، إلّاَ ولا ذِمَّةً !!

◘ إذن ؛ فالهجرة كما أنَّها مشروعةٌ من قُطر إلى قُطرٍ ، فهي مشروعةٌ من قريةٍ أو من مدينةٍ إلى قريةٍ أو مدينةٍ داخلَ القُطرِ نفسه ، **والمهاجرُ يعرفُ من نفسِه ما لا يعرفُه منه غيرُه .**

وهذا – ثالثاً – قد غيَّبه أولئك (القوم) زاعمين أنَّ الشيخَ يأمرُ أهلَ فلسطين بالخروجِ منها !! **نعم ؛ هكذا – واللّه – مِن غير تفصيلٍ أو بيانٍ !!** ولكنْ :

فما يَبْلُغُ الأعداءُ مِن جاهِلٍ مَا يَبلُغُ الجاهِلُ مِن نَفْسِه !

◘ والهجرةُ من قُطرٍ إلى قُطرٍ لا تُشرَعُ إلّا بدواعيها وأسبابِها مِن مِثلِ ما ذَكَرنا في فقرةٍ مضت ؛ ومن أعظم هذه الأسباب ، أن تكونَ الهجرةُ للإعداد واتِّخاذِ الأُهبة التي أمر اللّه بها ، ﴿ **وأعِدُّوا لهم ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخيلِ تُرهِبُون بِه عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُم ...** ﴾ ، لإجلاء الأعداء عن أرضٍ من أرضِ المسلمين وتخليصِها من أيديهم ؛ ليعودَ إليها حُكْمُ الإسلامِ كما كان مِن قَبْلُ .

فالهجرةُ – إذن – من الإعدادِ الذي أمر اللّهُ به وحَضَّ عليه ، ومَنْ أبطأ فيها – وقد تَهيَّأت أسبابُها ودواعيها – فقد عصى اللّهَ ، ونأى بجانبِه عن أمره .

فإنْ عَلِمَ المسلمُ أو المسلمون أنَّهم ببقائهم في ديارِهم يَزدادون وَهْناً إلى وَهْن وضَعفاً إلى ضَعفٍ ، وأنَّهم إنْ هاجروا ذَهَبَ الوَهْنُ عنهم ، وزال الضَّعفُ منهم ، وبَقُوا – بعد علمهم هذا – ولم يُهاجِروا ؛ – إن استطاعوا – فهم آثِمونَ عاصُونَ أمْرَ اللّه ، وربَّما عُوقِبوا بمعصيتهم هذه عقوبةً أعظمَ وأشدَّ نُكراً ، تتلاشى فيها شخصيتُهم ، وتغيبُ معها صورتُهم ، وتَضِلُّ بها عقيدتُهم ، ثمَّ لا يَجدُون لهُم مِن دونِ اللّهِ وليّاً ولا نصيراً .

وما صارَ إليه المسلمون في **الأندلس** ، وفي غيرها من البلاد ، شاهدٌ منظورٌ يَقُصُّ علينا مِن نَبَئِه ما يبعثُ مَنْسِيَّ الشَّجَن ، ويُنسي لذَّة الوَسَن ، ويُذَكِّر مَحْظُورَ

السُّنَن ! فهل مِن مُدَّكِرٍ ؟

□ **ومما لا شكَّ فيه – مِمَّا كتمه – أيضاً – ناقلو الفُتيا المُشِيعونَ لها – أنَّ هذا كلَّه مَنُوطٌ بالقدرةِ والاستطاعةِ** ، لقوله تعالى : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللهُ نفساً إلّا وُسْعَها** ﴾، ولقوله سُبحانَه : ﴿ **فاتَّقُوا اللهَ ما استطعتم** ﴾ ؛ فإنْ لم يجد المسلم أرضاً يأوي إليها غيرَ الأرضِ التي هو فيها ؛ يأمَنُ فيها على دينه ، وينجو من الفتنةِ الواقعِ فيها ، أو حِيلَ بينَه وبينَ الهجرةِ بأسبابٍ مانعةٍ قاهرةٍ لا يستطيعُ تذليلَها ، أو استوت الأرضُ كلُّها في الأسبابِ والدَّواعي الموجبةِ للهجرةِ ، أو عَلِمَ في نفسِه أنَّ بقاءه في أرضِه آمَنُ لدينِه ونفسِه وأهلِه ، أو لم يكن مِن مُهاجَرٍ إلّا إلى أرضٍ يُحكم فيها بالكُفر الصُّراح علانيةً ، أو كان بقاؤه في أرضِه المأذونِ له بالهجرةِ منها مُحَقِّقاً مصلحةً شرعيّة ، سواءٌ أكانت هذه المصلحة للأمَّةِ ، أم بإخراجِ أهلِ الكُفرِ من كُفرِهم ، وهو لا يخشى الفتنةَ على نَفْسِه في دينِه ، **فهو في هذه الأحوال كلِّها ، وفي الأحوال التي تُحاكيها ، ليس في وُسعِه إلّا أن يبقى مُقيماً في أرضِه ، ويُرجَى له ثوابُ المُهاجرين ، فراراً بدينِهم ، وابتغاءَ مرضاةِ ربِّهم .**

قال الإمامُ النَّووي في « الروضة » (١٠ / ٢٨٢) – مُتمِّماً كلامه الذي نقلتُه عنه – قبلُ – :

« ... **فإن لم يَقدِر على الهجرةِ فهو مَعذورٌ إلى أن يقدِرَ** » .

□ ويقالُ في أهلِ فلسطينَ – خصوصاً – ما يُقالُ في مثلِ هؤلاء جميعاً ، **فلقدْ سُئِلَ الشيخُ** – حفظهُ اللّهُ – عن بعضِ أهلِ المدنِ الّتي احتلَّها اليهودُ عامَ ١٩٤٨ م ، وضَربوا عليها صبغةَ الحكمِ اليهوديِّ بالكليّةِ ، حتّى صارَ أهلُها فيها إلى حالٍ سيِّءٍ من الغربةِ المُزمِلةِ في دينهم ، وأضحوا فيها عبدةً أذلاءَ لليهود ؟

فقالَ : هلْ في قُرى فلسطينَ أو في مدنها قريةٌ أو مدينةٌ يستطيعُ هؤلاءِ أنْ يجدوا فيها دينَهمْ ويتَّخذوها داراً يدْرءُونَ فيها الفتنةَ عنهم ؟ **فإنْ كانَ ؛ فعليهم أن**

يُهاجروا إليها ، ولايخرجوا من أرضِ فلسطينَ ، إذ إنَّ هجرتَهم من داخلها إلى داخلِها أمرٌ مقدورٌ عليهِ ، ومُحَقِّقٌ الغايةَ من الهجرةِ .

وهذا تحقيقٌ علميٌّ دقيقٌ **ينْقضُ زعمَ من شوّشَ وهوّشَ مُدَّعياً أنَّ في فتيا الشيخِ إخلاءً لأرضِ فلسطينَ من أهلِها ، أو تنفيذاً لخُططاتِ يهود !!**

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحكمونَ ﴾ .

أُفٌّ لكم أيُّها الناقدون الحاقدونَ ! هل علمتم هذا التَّفصيلَ أم جهلتموهُ ؟!

إنْ كنتمْ علمْتُموهُ فَلِمَ أَخفيتُموهُ وكَتمتُموهُ ؟!

وإنْ كنتم جَهلتموهُ ! **فلماذا رَضيتم لأنفسكم الجهلَ ، وللشيخِ الظلمَ ، وللنّاسِ التَّضليلَ ؟!**

أم انَّ هذهِ تجارتُكم تخشونَ كسادَها ؟! **بئستْ البضاعةُ ، وبئستِ التِّجارةُ !**

□ وليعلمَ المسلمُ أنَّ الحفاظَ على الأرضِ والنَّفسِ ، **ليسَ أولى من الحفاظِ على الدِّينِ والعقيدةِ** ، بل إنَّ استلابَ الأرضِ - ممن يظلُّ مُقيماً فيها رجاءَ الحفاظِ عليها ، غيرَ واضعٍ في حِسابِهِ الحفاظَ على دينِه أولاً - قد يكونُ أَيْسَرَ حالاً ، لكنَّه أشدُّ إيذاءً ، وأعظمَ فتنةً .

والعدوُّ الكافرُ الّذي يحتلُّ أرضاً - وأهلُها مقيمونَ فوقها - يملكُ الأرضَ ، وَمن عليها وما عليها ، فالكفرُ لا يحفظُ للإسلامِ عهداً ، ولا يرعى للمسلمينَ إلّاً ولا ذمّةً ، ولايقيمُ لهم في أرضهم وخارجِ أرضهم وزناً .

وأمَّا الحِفاظُ على النَّفسِ ؛ فلانُريدُ إطالةَ القولِ فيهِ ، أو التدليلَ عليهِ بأكثرَ من التَّذكيرِ بواقعتيْ هذا القرنِ المريرَتَيْنِ : **النَّكبةُ والنَّكسةُ !!**

فأيُّهما أولى وأحرى : الهربُ والفَرارُ **محافظةً على النَّفسِ والولد ؟!** أم الهجرةُ واتِّباع الشَّرْع بكلِّ استعلاءٍ وإباءٍ **حِفاظاً على الدين ؟!**

وأخيراً :

فإني أُذَكِّر (السادة) - المشنِّعين على الشيخ في فُتياه - !! بأمورٍ لعلَّها تكونُ نافعةً في توبةٍ نصوحٍ ، يَعْجَلون بها إلى ربِّهم ، قبلَ أن يأتيَ يومٌ لا ينفعُ فيه خُلَّةٌ ولا شَفاعةٌ ، **والشاغبون على الشيخ هم الظالمون** .

الأوَّل : هل يجوزُ شرعاً أن يكونَ الشريطُ المُسَجَّل دليلاً شرعيّاً قائماً على صحَّةِ نسبة دعوى ما إلى مَن تُنسَب إليه ، حتى لو كان الصوتُ المُسَجَّلُ هو صوتَ من نُسِبَت إليه تلك الدَّعوى ؟ والجوابُ بالإيجابِ أو النَّفي ، هو الذي يُحْكَمُ به على صحَّةِ تلك الدَّعوى أو على بُطلانِها ؛ وبخاصَّةٍ أنَّ **الحزبيّة المعاصرَةَ** تفعلُ سائِرَ ما تستطيعُ أن تفعله من تزويرٍ أو تحويرٍ - كما يعرفُهُ أربابُها مِن أنفسِهم - **من أجل تحقيقِ غاياتِها وأهدافها !!**

الثاني : كما أنَّ الجواب - إيجاباً أو نفياً - يُعين على فهم قوله تعالى : ﴿ **إنْ جاءَكُم فاسقٌ بنبأ فتَبيَّنوا أن تُصيبُوا قَوماً بِجَهالَةٍ فَتُصبِحُوا على ما فَعَلتُم نادِمين** ﴾ ، وعِلْمُ تحليلِ الأصوات لا يُقَدِّم ولا يُؤخِّر في الاعتداد بالحُكمِ على صحة الدعوى أو على بُطلانها ، ولا أدري إن كان هذا قد مرَّ بخواطر العادِين على الشيخ أم لم يَمُرَّ ؟

فكيفَ إذا كان الشريطُ المُسَجَّلُ - الذي نَشَروهُ وأذاعوهُ - واحداً مِن عِدَّةِ أشرطةٍ لا يتمُّ الحُكْمُ على الفتوى المقصودةِ بالبحثِ إلّا بالوقوف عليها جميعها ، وهذا ما لم يفعلْهُ واحدٌ من أولئكَ المشايخِ !!

الثالثُ : هل يجوزُ شرعاً أنْ يُتَّخذَ السَّبقُ الصَّحفيُّ مَقيساً عليهِ في الحكمِ على الأمورِ والأشياءِ حكماً شرعياً ؟ فالسَّبقُ الصحفيُّ لا تفريقَ فيه بين الصدقِ والكذبِ ، ولا بينَ الحقيقةِ والخيالِ ، ولا بينَ الحقِّ والباطلِ .

والحكم الشَّرعيُّ يخضعُ للوحيِ ، فالحقُّ والحقيقةُ رداؤهما الصدقُ ، والباطلُ والخيالُ رداؤهما الكذبُ ، وأينَ هذا من ذاكَ ؟ هل يستويانِ مثلاً ؟

الرَّابعُ : نسألُ (المُثَوِّرين) لِلْفُتْيا : هل أَحسنوا صنعاً في أنفسهم وفي النَّاسِ - حينَ هاجتْ هائجتُهم ، وخرخَرتْ أصواتُهم ، وتسَعَّرتْ لَهَواتُهم ، ورقصت قلوبُهم ، فوقَ منبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فرحاً ، واهتزَّت أجسامهم طَرَباً على كَراسيِّهم العلمية - إنْ كانتْ !! - **وهم يتغامزونَ بفتوى الشيخِ ،ويكيلونَ له بها التُّهمَ** ، الواحدةَ تلوَ الأخرى ، ويأخذها بعضهم عن بعضٍ ، من غير أن يكونَ لدى الواحدِ منهم الشَّجاعةُ الأدبيةُ - كما يقالُ - ليتثبَّتَ أو يتبيَّـنَ ؛ فيتصلَ بالشيخِ هاتفيّاً - إن كانَ تُخيفُه لقياه وَجاهياً - يسألُهُ عن صدقِ نسبةِ هذهِ الفتوى - كما صاغوها وصنعوها - له ، أَو كذبِها ؟!! .

وهل هذا هو الخُلُقُ العلميُّ الّذي عَرَفوهُ - إنْ كانوا عَرفوه - من سيرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وسلوكِ أصحابِهِ ، والتَّابعينَ وأتباعهم من بعده ؟

إنَّها واللَّهِ الوائدةُ المُوْضِحةُ ، المُرقِّدةُ !!!

ومن هانَ عليه دينُه هانَ عليهِ كلُّ شيءٍ .

ولا أدري ماذا يُفيدُ منهم تلامذتُهم ، ومُريدوهم ، والمصَفِّقونَ لهم ، وهم على مثلِ هذا الخُلُقِ الحانفِ بهم عن مودَّة الإيمانِ وأهلِهِ ؟! وهل أحدُهم يقدرُ على أن يقفَ أمامَ جبَّارِ السماواتِ والأرضِ يومَ القيامةِ ، بواحدةٍ ممَّا ألقى بها إلى مسامعِ النَّاسِ طاعناً ذامّاً بها الشيخَ ؟! فكيفَ بها مجتمعةً ؟!

الخامسُ : وليسَ من شكٍ - بعد هذا البيانِ - أنَّ المُكابرَ في الوُضوحِ لهذا الحقِّ الصُّراحِ هو إنسانٌ قد أصابَهُ الخَرَفُ ولو في شرخِ شبابِهِ (!) ، **لكنَّهُ خَرَفُ الإنصافِ والتَّصوُّرِ المستقيمِ !!**

وأمَّا **الكبراءُ الكُبَراءُ من أساطين السُّنة** وعُلماء الحديثِ ؛ فلقد شَمِلَهم - بفضل اللَّه ومنِّتِه - دُعاءُ رسول اللَّه ﷺ : « **نَضَّرَ اللَّهُ امرءً** سمع مقالتي فوعاها ، فأدَّاها كما سَمِعَها ... » وإنْ رَغِمَت أنوفُ الناقدين الحاسدين الحاقدين !

ومِن أعجبِ شيءٍ يكونُ في هؤلاءِ الناقدين أنَّهم مُتعالون ، وعلى رُفعاءِ القَدْر مُتطاولون ، مَعَ أنَّهم في الجهلِّ غارقون ..

السادس : اعلموا – وأنتم تعلَمُون ، أيُّها (المشايخ) ! – أنَّ الموت قريبٌ ، وأنَّ عذابَ اللَّهِ إمَّا غادٍ إليه أو رائحٌ ، وأنَّ خيرَ الزَّادِ التقوى ، وأنَّ النَّاس مَجْمُوعون إليه ، واقِفون بين يَدَيه ، مسؤولون عمَّا قدَّموا ، ليس بينَهم وبينه تَرْجُمانٌ ولا حاجبٌ ، فأنْهِدوا أنفسَكم إلى توبةٍ أعرَضَتْ عنكم بسوءِ ما تَصنَعُون ، وأوْلَتْكُم قفاها من شرِّ ما تفعلون ، وبَرئت منكم وممَّا تقولون وتعملون من قبل أن يأتيَكم الموتُ وأنتم لا تشعرون .

السابع : وخيرٌ لكم – أيُّها المُشَنِّعون ! – أن تُوقِنوا أنَّ ما تُبَيِّتُونه من مَكْر السَّيىء للشيخِ مردُّه إليكم ، وأنَّ شعارَ الشيخ تلك الكلمةُ الحكيمة : « **قُل كلمتك وامْضِ ، فإن لم تَرَ معناها أنتَ ، فسيراه غيرُك مِن بعدِك** » .

وعليه ؛ فإنَّ هذا **الصَّخَبَ الهائج – ذا الكَلامِ المائج** – الذي أثاروهُ مِن على منابرِهم وسوَّدوه فوق صحائفهم ، سينعكسُ عليهم ، وترتَدُّ سهامُهُ إليهم ، ويرتكسون به في أودية الوَيْلِ والثُّبورِ ...

أمَّا عامَّةُ النَّاس **فهي لهم فُرصَةٌ غاليةٌ يتعرَّفون فيها إلى الشَّيخ** ، وينظرون من خِلالها تواليفَه ومصنَّفاته ، ويَنْهَلون عَبرَها عِلمَه وفُنونه ، بعد إذ سَمِعُوا اسمَه – **ولو بصورَةٍ بَتراءَ مُشَوَّهةٍ** – مِن خصومِه ، والنائلينَ منهُ ، وناقديه !!

وإذا أرادَ اللَّـه نشـرَ فَـضِيـلَـةٍ طُوِيَتْ أتاحَ لها لِسانَ (حَقُودِ)

﴿ **ولله الأمرُ مِن قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ** ﴾ .

وكلمةٌ أخيرةٌ لا بُدَّ منها ؛ نقولُها لهؤلاء القوم الذين يُغرِقونَ غيرَهم بالمِثاليات (!) ، ويَدْعُون سواهم إلى (أدب الحِوَار) ، (ومعذرة المُخالف) و ... و ..!!

فنقولُ : فَلْنَفْرِض – جدلاً – أنَّ فتوى الشيخ خطأٌ مَحضٌ ، فما الحُكْمُ

الصائبُ عليها ؟

الجوابُ مبنيٌّ على معرفةِ مِن أيِّ أبوابِ العلم هي ؟! أهي مِن مسائلِ التوحيدِ والاعتقادِ ؟! أم مِن مسائلِ الفقهِ والأحكامِ ؟!

وهو جوابٌ بيِّنٌ جداً لكُلِّ مَن شَدَا من العلم حروفاً .

وإذا وَضَحَ ذلك ؛ فإنَّ (**أغلطَ**) كلمةٍ يُمكِنُ أن تُقال في (أكبرِ) غَلَطٍ من أغلاطِ الفقهِ والأحكامِ : هذا خطأٌ ، أو : خلافُ الصوابِ ، ونحو ذلك ...

أمَّا (التضليلُ) و (التَّفسيق) و (الاتهام) **فهي كلماتٌ لا تخرجُ من العُلَماء ، ولا هي من أخلاقِ[1] الفُقهاء !**

خـذ ما تَـراهُ ودَعْ شـيئـاً سَـمعـتَ بـهِ ... في (رَوعَةِ الحقِّ) ما يُغْنِيكَ عَن (كَذِبِ)

﴿ إنَّا لنَنْصُرُ رُسُلَنا والذينَ آمَنُوا في الحَيَاةِ الدُّنيا ويَومَ يَقُومُ الأشهادُ ﴾ .

﴿ إنَّ رَبَّكَ لبالمرصادِ ﴾ .

والحمدُ للّه أوّلاً وآخراً ، وصلّى اللّه وسلّم على النَّبيِّ الهادي المُجتبى [2].

---

(١) وَيَجْمُلُ بنا - أخيراً - أن نشْكُرَ لِنَفَرٍ من أهلِ الفَضلِ فَضْلَهم - وهم عَدَدٌ قليلٌ مِن الأساتِذةِ - إذ ناقشوا فتوى الشيخ ، ودرسوها ، وأصدروا رأياً لهم فيها ؛ ولكنَّه كان رأياً مخالفاً له ؛ لكونِه مبنياً على قُصورٍ في تصوُّرِ فُتيا الشَّيخِ وحيثيّاتِها ، ومن قواعد العلم المعروفة : (الحُكْمُ على الشَّيءِ فَرعٌ من تصوُّره) .

وهم - جزاهم اللّهُ خيراً - وإنْ خالفوا في بيانهم المنشور حُكْمَ الشَّيخِ وفُتياه ، - لِمَا ذكرنا - فإنَّهُ ليس عليهم في مخالفتهم هذه تثريبٌ أو غَضاضةٌ ، إذ قيل قديماً : « **الخلافُ لا يُفسِدُ للوُدِّ قضيَّةً** » .

ونحن نَشْكُرُهم ؛ لأدبِهم في الحِوَار ، وتَلَطُّفهم في البحث .

إنَّـا لـفـي زَمَـنٍ تـركُ الـقـبـيـح بـه ... من أكثرِ النَّاسِ إحسانٌ وإجمالُ

(٢) والبيانُ التفصيليُّ الوافي تجدُه في رسالتي « **ماذا ينقمون من الشيخ ؟** » ، ومنها اختصرتُ مقالي هذا .

١

الثقافةُ ... والغَزْوُ الثَّقافيُّ

د. مروان القيسيّ

كان مصطلحُ « الثقافة » - وما زال - في نَظَر الكثيرِ من النَّاس مُرادفاً للعلم والمعرفة ! وهذا ظنٌّ جانَبهُ الصوابُ ، فالطَّبقةُ المثقفة في نظر الكثيرين هي الفئةُ المتعلمة ، والإنسان المثقف هو من قرأ شيئاً من الكتب والدوريات واختزن في ذهنه الكثيرَ من المعلوماتِ والنظرياتِ .

غيرَ أنَّ هذا يُخالفُ ما ذهبَ إليه الاختصاصيّونَ في ميدانِ الثقافةِ ، فهي لديهم: (ثمرةُ كلِّ نشاطٍ إنسانيٍّ محليٍّ نابعٍ عن البيئةِ ومُعبِّرٍ عنها أو مواصلٍ لتقاليدها في هذا الميدانِ أو ذاكَ) .

وثقافةُ أيَّة أمةٍ من الأُممِ هي علمها الّذي تتوارثهُ أجيالُها وتسيرُ بهِ في شئونِ حياتها ، أي : هي طريقتها في الحياةِ ، تدخلُ في ذلكَ اللغةُ أو اللَّهجةُ من اللُّغةِ ، ونظامُ إقامةِ البيوتِ وأنواعُ المآكلِ وطرقُ تحضيرها وطرقُ تناولها والملابسُ والفُرُشُ والثيابُ وأشكالها والأمثالُ والحكاياتُ الشعبيةُ وتَصَوُّرُ أهلها للدنيا وموقفُهم من الحياةِ

وطريقةُ سيرهم فيها وحِرَفُهم وطرائقُهم في الصناعةِ والزراعةِ والتجارةِ والملاحةِ ، وباختصارٍ ؛ هي : طريقةُ شعبٍ في الحياةِ بكلِّ ما تضمّهُ حياةُ الشعبِ من تفاصيلَ .

وإذا كانت ثقافةُ أيةِ أمةٍ هي طريقتها في الحياةِ ، وبما أنَّ لكلِّ أمةٍ طريقةً في الحياةِ فإنَّ لكلِّ أمّةٍ - أياً كانَ حظُّها من التقدمِ أوالتَّأخرِ - ثقافةً ، وحيثُ إنَّ ثقافةَ الأمةِ هي طريقتها في الحياةِ فهي إذن شخصيتُها المميّزةُ لها عن غيرها من الأممِ واالشعوبِ .

والثقافةُ بهذا تختلفُ عن العلمِ اختلافاً بيناً ، فالعلمُ عالمي وإنْ اختلفت اللغةُ الّتي يؤدى بها ، أما الثقافةُ فهي محليّةٌ خاصة بشعبٍ من الشعوبِ ومُمَيِّزةٌ لهُ عن غيرِهِ .

وبناءً على ما سبقَ فإنَّ الثقافةَ الإسلاميةَ هي الشخصيةُ المميزةُ للشعوبِ الإسلاميةِ عن غيرِها من شعوبِ العالمِ وأُممِهِ المختلفةِ .

◘ الدين والثقافة :

تتكونُ ثقافةُ أيةِ أُمةٍ خلالِ مُدةٍ بفعلِ عواملَ وقوى متتعدةٍ تُشاركُ في صنعِ أسلوبِ الحياةِ ، فمن هذهِ العواملِ ظروفُ الأمةِ وتجارِبُها في الحياةِ وعواملُ مناخيةٌ وجغرافيةٌ وتاريخيةٌ .. إلخ ، غير انَّ أهمَّ ما يُشاركُ في صنعِ ثقافةٍ ما وإخراجها إلى حيّزِ الوجودِ وبلورةِ أبعادها وتحديدِ ملامحها هو عاملُ االدّين ، أياً كانَ ذلكَ الدين ، ولذلك فإنَّ الصوابَ لم يجانب (إلْيُوْ) حينما أشارَ إلى هذهِ الحقيقةِ في كتابِهِ « ملاحظات نحو تعريف الثقافة » إذ قالَ : « إنَّ القوةَ الرئيسيّةَ في خَلقِ ثقافةٍ مشتركةٍ بينَ شعوبٍ متعددةٍ هي الدينُ » ولكنَّ الأديانَ نفسها تتباينُ قوّةً وضعفاً ، ولذا فقد

كان من الطبيعيِّ أن يتفاوتَ تأثيرُها في صنعِ الثقافاتِ الّتي تنتسبُ إليها وتتسمّى بها بحسب قوتها وضعفها ، وبحسبِ ما تتمتعُ بهِ وتمتازُ من تكاملٍ وشموليّةٍ يسمحانِ لها ويؤهّلانها لفرضِ هيمنتها وممارسةِ نُفوذها على مناحي الحياةِ وميادينها كافة ، فكلّما كانَ الدينُ شاملاً مُتكاملاً في تشريعاتهِ كلّما كانَ تأثيرُه في أسلوبِ الحياةِ والثقافةِ أعمقَ وأوضحَ .

ولذا فقد كانت هناكَ دوماً ثقافاتٌ قويّةٌ وأخرى ضعيفةٌ يقررُ ذلكَ قوةُ أو ضعفُ العواملِ والقوى الّتي تُشاركُ وتساهمُ في صنعِ ثقافةٍ ما .

▫ الإسلامُ ثقافةُ المسلمين :

في الوقتِ الّذي لا يُمكننا الادّعاء أنَّ الإسلامَ أكثرُ الأديانِ أتباعاً على كوكبنا هذا ، فإنَّ أحداً لا يجرؤُ على إنكارِ حقيقةٍ مفادها أنَّهُ **أقوى الأديانِ فعاليةً وتأثيراً في نفوسِ أتباعهِ** ، ولذلكَ أسبابٌ عِدَّةٌ ، منها : شموليته المتكوِّنة من شريعةٍ وطريقةٍ كاملةٍ للحياةِ وعالميته وانسجامُ أُصولِهِ وفروعِهِ معَ الفطرةِ والعقلِ ، ويسرُه ، ولذا فقد كانَ من الطبيعيِّ أن يُفرزَ هذا الدينُ ثقافةً مُتجانسةَ الأجزاءِ قويةً وإيجابيةً وقادرةً على الصمودِ أمام تحدياتِ الغزوِ الثّقافي أياً كانَ مصدرهُ ، شرقياً أو غربياً ، وأيّاً كانت قوته .

لقد أوجدت الفكرةُ الرّاسخةُ الأصيلةُ الّتي جاء بها الإسلامُ متمثلةً بعقيدتهِ والقانونِ المتكاملِ الشاملِ لكلِّ نواحي حياةِ الفرد والمجتمعِ والدّولةِ ، أوجدت تصوراً واحداً وموقفاً واحداً ومشاعرَ واحدةً لكلِّ المسلمينَ ، **فكانت الثقافةُ الإسلاميةُ هي القاسمَ المشتركَ الأعظمَ بينَ الشعوبِ الإسلاميةِ جمعاء** .

ولقد حرصَ رسولُ اللّهِ ﷺ على الوحدةِ الثقافيةِ للأمّةِ المسلمةِ فأكّدَ على

ضرورةِ التزامِ المسلمينَ جميعاً بنظرةٍ واحدةٍ وموقفٍ عمليٍّ واحدٍ نابعٍ من الكتابِ والسنةِ ، وحذَّرَ من الابتداعِ الّذي له أخطارٌ عديدةٌ أكثرها شراً خلقُ ثقافاتٍ دخيلةٍ في جسمِ الثقافةِ الأصيلةِ الّتي جاءَ بها القرآنُ الكريمُ والسنَّةُ المطهرةُ ، وهو عليهِ السلامُ – في الأحاديثِ العديدةِ الّتي حذَّرَ فيها المسلمينَ من الإضافةِ للدينِ ما ليسَ فيهِ – إنَّما كانَ في الواقعِ يُحذِّرُ من نجاحِ أيَّةِ مُحاولةٍ لغزوٍ ثقافيٍّ أجنبيٍّ ، والأحاديثُ الصحيحةُ الّتي صرَّحت بذلك كثيرةٌ منها الحديثُ الصحيحُ الّذي روته عائشةُ أمُّ المؤمنينَ رضيَ اللّهُ عنها في « صحيحي البخاري ومسلم » و « سننِ أبي داود وابنِ ماجه » ، قولهُ ﷺ : « من أحدثَ في أمرنا ما ليسَ منه فهوَ ردٌّ » .

◘ الغزو الثقافي :

لقد كانَ وجودُ قويٍّ وضعيفٍ يُغري دائماً الأوّلَ بغزو الثاني وفرضِ هيمنتهِ عليهِ ، وهذا ليسَ بِدعاً بالنسبةِ للقوانينِ الوضعيةِ الّتي تحكمُ العلاقاتِ الإنسانيةَ ، فوجودُ القويِّ والضعيفِ اقتصادياً قادَ – دائماً – لغزوٍ وهيمنةٍ اقتصاديةٍ ، وأوضحُ مثالٍ على هذينِ الأمرينِ حالُ أمتنا الآنَ عسكرياً واقتصادياً !!

ووجودُ ثقافتينِ إحداهما قويةٌ والأخرى ضعيفةٌ ليسَ استثناءاً ، فهو يقودُ أيضاً إلى غزوٍ يُدعى الغزوَ الثقافي ، وهو – بلا أدنى ريبٍ – أكثرُ أنواعِ الغزوِ خطراً ، وله – في العصر الحاضر – أمثلةٌ متعدِّدةٌ كثيرةٌ .

(... للبحث صلة)

موقفان ...

علي بن حسن

◻ قال أخٌ في اللَّه :

... كانت خُطبةُ الجُمُعةِ ذلك اليومَ خُطبةً رائعةً بما فيها مِن أحْكام ، وآدابٍ ، وتنبيهات ...

وبعد الخُطبة وأثناءَ الصلاةِ ... قرأ إمامُ الجمعةِ آياتٍ كريمةً من سورة ﴿ ق ﴾ ، بأُسلوبٍ بديعٍ ، وصوتٍ حَسَنٍ ، وأداءٍ جميلٍ حتى كأنَّ الآياتِ - عند سماعِها - تُفهِم سامعيها مَعَانيَها ، وتُوصل إليهم مَرَامِيَها .

وبدأتُ أُحِسُّ - وأنا أسمعُ قراءةَ الإمام أثناءَ الصلاة - كأنَّ آهاتٍ عميقةً تَصْدُر مِن هناك أو هنالِك ... وإذا بالآهات تعلو حتى كادت أن تكون صيحات ... وإذا بأصوات البكاء - بل النَّحيب - تتعالى ، وترتفعُ ، ومِن بين ذلك كُلِّه يَنسابُ صوتُ الإمام مُرَتِّلاً : ﴿ **ولقد خَلَقنا الإنسانَ ونعلمُ ما تُوسوس به نفسُه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشمال قَعِيدٌ . ما يلفظُ من قَولٍ إلّا لَدَيْهِ رقيبٌ عَتيدٌ . وجاءَتْ سكرةُ الموتِ بالحقِّ ذلك ما**

كنتَ منه تَحِيدُ . ونُفِخَ في الصُّور ذلك يومُ الوعيد . وجاءَت كُلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ ... ﴾ .

وما زال البكاءُ مستمرّاً ، وأجواءُ المسجدِ إيمانيَّةٌ عاليةٌ ، والقلوبُ تخفقُ ، وصوتُ الإمام يتهدَّج .. و .. و ...

ثمَّ - بين ذلك كلِّه - تذكَّرتُ نَفْسي .. **أين أنا ؟!**

فإذا بدَمَعاتٍ تذرفُ مِن عينيّ ..

ولكنْ .. هل هي دَمَعاتُ خُشوعٍ وتدبُّر للقرآن ؟!

أم هي غيرُ ذلك ؟!

نعم ؛ لقد بَكَيتُ ، ولكنْ .. على نفسي ، لأنّي لم أتأثّر بالقرآن !!!

﴿ أفلا يتدبَّرون القُرآنَ أم على قلوبٍ أقفالُها ﴾ ؟ .

﴿ لو أنزَلنا هذا القُرآنَ على جَبلٍ لرأيتَه خاشعاً متصدِّعاً من خشية اللَّه ﴾ .

﴿ إنَّما المؤمنون الذين إذا ذُكر اللَّه وَجِلَت قلوبهم وإذا تُلِيَت عليهم آياتُه زادَتهُم إيماناً وعلى ربِّهم يتوكَّلون ﴾ .

... ولكنَّ سلوى مَن هذا حالُه قولُ رسولِ اللَّه ﷺ :

« مَن سرَّته حسنتُه وساءَتْهُ سيِّئتُه فهو مؤمنٌ » (١).

❑ (صورةٌ) واقعيةٌ :

... وقع تحت يدي - بِقَدَر اللَّه سبحانه - عددٌ جديدٌ من أعداد مجلَّة (نيوزويك) الأمريكية (!) ... وبحكم أنَّ لُغتي الإنجليزية مُتهاوية (!) بدأت أُقلِّب صفحاتها ، وأنظُر - سريعاً - إلى رؤوس مقالاتها ومواضيعها ... فلفت نَظري - فيما

(١) حديثٌ صحيح ، يُنظر تخريجه في التعليق على « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٥٢١) لشيخنا الألباني .

لَفَت – مقالٌ حولَ الشيخ عمر عبدالرَّحمن [1]، وأحداثِ (مانهاتن) ، وما يتعلَّق بها من قبلُ ومن بَعدُ !! مع تحليلات صحفيَّة سياسيَّة عدَّة ، ومن زوايا (!) مُتنوِّعة !!

وهذا –كما هو ظاهرٌ– أمرٌ اعتياديٌّ بالنسبة للأمريكان ، ومُعالجتهم (المعروفة) للأحداث ..

ولكنَّ غير الطبيعي – بالنسبة لنا على الأقل ! – تلك الصورة التي أُرفقت مع المقال ... حارسان شديدان من ذوي العضلات المفتولة ؛ واحدٌ على الشمال ، والآخر على اليمين ... يقتادان (بقوَّةٍ) ذاك الشيخَ الضريرَ الضعيفَ ... **وقد جرَّدوه من جُبَّته وثوبه** ... وألبسوه (سراويل) السِّجن الضيِّق الذي لا يكادُ يُحسن المشي فيه !! فضلاً عن محاولته (الظاهرة) للُّحوقِ بحارسيه !!

تُرى .. لو كان هذا قِسِّيساً ... أو حاخاماً !! هل يُعاملونه بهذه الطريقة المُزرية نفسِها !؟ ...

لا واللَّه ... إنَّها صورةٌ من صُور الإذلال والإهانة التي يسعى (الصليبيُّون الجُدد) لإلصاقها **بالمسلمين** ؛ عُلماء ودُعاةً ومُلتزمين ...

إنَّها صورةٌ من صور (الغطرسة) الأمريكانية المُتعجرفة التي تذوب معَها كلُّ القيم والأخلاق (**الإنسانية**) ...

وصدقَ ربُّنا – سبحانه – القائل : ﴿ ولن تَرضى عنكَ اليهودُ ولا النَّصارى حتَّى **تتَّبع** مِلَّتهم ﴾ ..

﴿ وَدَّ كثيرٌ من أهلِ الكتاب **لو يَرُدُّونكم من بعدِ إيمانكم** كُفَّاراً حسداً من عندِ أنفسهم من بعدِ ما تبيَّن لهم الحقُّ ﴾ .

---

(١) ولنا على منهجه وطريقته في الدعوة ملاحظاتٌ عدَّة ليس هنا موضعُ بيانها وإظهارها ، سائلين اللَّه تعالى أن يُفرِّج كربَه ، وأن يدفعَ عنه الأذى .

مسائل وأجوبتها

العلامة محمد ناصر الدين الألباني

سؤال / ١ - رجلٌ أكل أو شرب ناسياً في صيامِ نفلٍ ، ماذا عليه ؟ وما هو حكمُ الجماع لو وقع من صائمٍ ناسياً في صيام فريضة ؟

جواب - الأكل والشرب ناسياً ، لا فرق فيه بين صيام الفرض والنفل ، وهو كما قال عليه الصلاة والسلام : « ... إنَّما أطعمه اللَّه وسقاه » .

أمَّا الجماع ناسياً ، فلا أتصوَّره بين زوجين ، أتصوَّره بالنسبة لأحد الزوجين المُغرِقين في الغفلة ، ولكن ما بال الزوج الآخر ؟ سواء كان ذكراً أم أنثى .

ولذلك لا بُدَّ أن أتصوَّر تساؤلاً وقع بين أحد الزوجين ، فلذلك لو فرضنا أحدهما كان ناسياً والآخر مستغلّاً هذا النسيان ، فالناسي حينئذ لا فرق بين أكله وشربه وجماعه ، أمَّا المتذكر فعليه أن يقدّم الكفارة الكبرى .

سؤال / ٢ - ما معنى قول الإمام الذهبي في بعض الرُّواةِ : « وُثّق » ؟

جواب - معنى ذلك شيئان :

ـ في الغالب أنَّ الذي وثَّقه هو ابن حبان .

ـ وعلى الاضطراد أنَّه لا يُوْثَقُ بهذا التوثيق .

سؤال / ٣ – ما هي علاقةُ علم الفقه بعلم الحديث ؟ وهل يلزم المُحَدِّثَ أن يكون فقيهاً أم أنَّه مُحدّثٌ فقط ؟

جواب – يلزم الفقيه أن يكون محدّثاً ، ولا يلزم المحدّث أن يكون فقيهاً ؛ لأنَّ المحدّث فقيهٌ بطبيعة الحال ، هل كان أصحاب النَّبي ﷺ يدرسون الفقه أم لا ؟ وما هو الفقه الذي كانوا يدرسونه ؟ هو ما كانوا يأخذونه من رسول اللَّه ﷺ ، إذن هم يدرسون الحديث ؟

أمَّا هؤلاء الفقهاء الذين يدرسون أقوال العلماء وفقههم ولا يدرسون حديث نبيِّهم الذي هو مَنْبَعُ الفقه ، فهؤلاء يُقال لهم : يجب أن تدرسوا علم الحديث ، إذ أنّنا لا نتصوّر فقهاً صحيحاً بدون معرفة الحديث حفظاً وتصحيحاً وتضعيفاً ، وفي الوقت نفسِه لا نتصور محدثاً غير فقيه .

فالقرآن والسُّنة هما مصدر الفقه كل الفقه ، أمَّا الفقه المعتاد اليوم فهو فقه العلماء ، وليس فقه الكتاب والسُّنة ، نعم ؛ بعضه موجود بالكتاب والسُّنة وبعضه عبارة عن آراء واجتهادات ، لكن في الكثير منها مخالفةٌ منهم للحديثِ لأنَّهم لم يحيطوا به علماً .

سؤال / ٤ – هل ينطبق قول : (يا رضا اللَّه ورضا الوالدين) على قول : (ما شاء اللَّه وشئت) مِن حيثُ مخالفتُه للشرع ؟

جواب – نعم ؛ رضا الوالدين يحتاج إلى تقييد ، إذا كان المتكلِّم بهذا القول يقصد رضاهم المشروع ، فيكون هذا – أيضاً – مِن باب رضا اللَّه ، كما يقول اللَّه سبحانه :

﴿ وقضى ربُّك ألَّا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحساناً إمَّا يَبْلُغَنَّ عندك الكِبَرَ أحدُهما أو كلاهما فلا تَقُلْ لهما أُفٍّ ولا تنهرهما وقُل لهما قولاً كريماً واخْفِضْ لهما جناح الذُّلِّ من الرَّحمةِ وقُل ربِّ ارْحَمْهما كما ربَّياني صغيراً ﴾ .

فمن قام بهذه النصيحة فقد أرضى اللّه أولاً ثمَّ الوالدين ثانياً .

وهذا الإرضاء هو - في حقيقتِه - عبادة ، أمَّا إذا أرضى الوالد أو الوالدة بمعصية اللّه فحينئذ هذا ليس بعبادة ، ولا يجوز أن تُقال هذه الكلمة إطلاقاً .

هذا الفرق لا بدَّ من ملاحظتِه إذا قيلت هذه الكلمة ، على أننا لا نستحسن أن تُقال ، مِن بابِ : « دع ما يريبك إلى مالا يريبك » ، فحين يقول الإنسان : رضا الوالدين لا يلاحِظ هذا التفصيل الذي بيَّنا شرحَه ؛ لأنَّ أكثر النَّاس لا يعلمون - كما قال ربُّ العالمين في القرآن الكريم - ونحن نعرف من واقع حياة المسلمين أنَّ كثيراً من الآباء مع الأبناء والأبناء مع الآباء لا يُلاحظون الرضا المشروع ، وإنَّما الرضا بدون هذا القيد ، مثلاً إذا فرضنا والداً فقيراً أو متوسط الحال وابنه غني يُحسن إلى أبيه ويُكرمه ويُعطيه المال لكن هذا الابن لا يُصَلّي وأبوه راضٍ عنه لأنَّه ينفعه لكنّ اللّه غير راض عن الولد ، فإذن في مثل هذا لا يقال : يا رضا اللّه ورضا الوالدين .

صحيحٌ أنَّ الوالدين راضيان هنا ، لكن رب العالمين غير راضٍ كما أنَّ هناك من يُقبِّلون أيدي آبائهم صباحَ مساءَ ، لكن دون صلاة أو صيام ! فما الفائدة من رضا الوالدين ما دامَ أنَّ اللّه عز وجلَّ لا يرضى ؟! .

من هنا نعرف الفرق بين رضا الوالدين المشروع ورضا الوالدين غير المشروع .

أعود فأقول : ينبغي أن لا نُوَجّه مثل هذا النداء ولو كان قاصداً الرضا المشروع لأنَّه يتعلَّق بالمخلوق ، فهو صفةٌ للمخلوق ، وليس صفةً للخالق ، إلّا الطرف الأول منه ، وهو : « يا رضا اللّه » .

أحوالُ العالمِ الإسلاميّ

التحرير

□ ماذا وراء لبنان ؟

عاش جنوبُ لبنان - قبل أسابيعَ - أياماً عِجافاً حيث دمَّر **العدوُّ اليهوديُّ** كثيراً مِن قراه ، فأصبحت حصيداً كأنْ لم تَغن بالأمس ؛ فنزح الآلاف ، وشُرِّد أمثالُهم ، سوى القتلى والجرحى والـمُشَوّهين .

كل هذا على مرأى ومسمع دويلات المسخ التي أفرزها المكرُ اليهوديُّ ورعاها الكيدُ الصليبيُّ ، وتَراوَحَ الموقفُ - بينها جميعاً - من النَّدْبِ إلى الاستنكار إلى الشَّجب !!

وَأَظْهَرَ أطرافُ اللُّعبة (المعروفة) مخاوفَهم - ليس على الأرواح التي أُزهقت ، والأطفال الذين يُتِّموا ، والأعراض التي انْتُهكت - ولكن على عمليّة الاستسلام التي نبت لحمها الحرام ونشزت منها العظام على تسخير الأمَّة لمطامع يهود ، فَمِنْ قائلٍ : إنَّ عملية التفاوض في خطر !! وآخر : أنَّها سَتُسَرِّع عملية

السلام ! وثالث : إنَّها تلويح بالعصا اليهوديّة الغليظة لإخراس الألسنة ، والرُّضوخ للأمور الواقعة المطروحة .

إنَّ هذا العُدوان الأثيم لبرهان على أنَّ المفاوضات الجارية - أو ما يتبعها - تخديرٌ لأُمَّة ظنَّت أنَّ حياتها يَهبُها لها أعداؤها .

وإنَّه لبيان أنَّ مطامع اليهود لن يتخلى عنها دهاقنة (خُبَثاء) صهيون حتى يروها حقيقة في عالم الواقع ... فهل نحن مبصرون ؟

□ مسلمو طاجكستان بين أنياب الدُّبِّ الرُّوسي :

تقوم حكومة طاجكستان الشيوعيّة بحرب إبادة للمسلمين ، ولكن هذه الإبادة الجماعيّة يَلُفُّها تعتيمٌ إعلاميٌّ عجيبٌ ، ويُعمي أخبارَها سكوتٌ إسلاميٌّ مُريب ...بينما الحكومة الشيوعيّة تنهال عليها الإمداداتُ الروسيَّةُ .

ليس غريباً علينا هذا السكوتُ من أخوة الدين ، فهكذا عَوَّدونا في غَيْبَةِ الحق المبين ، ولكن ألم تعتبر روسيا بما حصل لها في أفغانستان عندما اغترّت بخيلها وخُيَلائها وَرَجِلِها ورجالها وعَدَدِها وَعُدَدِها فاستنسرت على شعبٍ أعزلَ مسكين مُعينةً الحكومة الشيوعيّة في كابول ؟! ... ولكنّ أحلامَها كانت سحابة صيف انقشعت عن هزيمة كبرى لحقت بالدُّب .

□ الإخوة (!) الأعداء :

لم تَعُد اللقاءاتُ السريةُ المتكرّرة بين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية والكيان اليهودي بخافيةٍ على أحدٍ ، فقد تناقلتها وكالاتُ أنباء عدَّة نقلاً عن إذاعة العدو اليهودي ، وتبجّح بها المنتفعون من قادة المنظَّمة .

ورافق هذه اللقاءات عدّةُ طروحات من حلٍّ للمنظمة، وتضييق الخناق - أكثر - على أهل فلسطين الذين يرزحون تحت أَسْر اليهود ، والتنازل عن طرح مسألة القدس على مائدة المفاوضات ... إلخ .

وقد أذهلت قائمة التنازلات كثيراً من المؤيدين لهذه المنظمة - فضلاً عن المنتسبين إليها - التي جاءت فجأة لتجثم على صدر شعب جُرِّد من دياره ، وشرِّد عن أرضه ، وجُعل أُمماً وشعوباً ، وخلال مسيرتها لم يَلْقَ هذا الشعبُ على يديها سوى الويلات والنكبات ، واستغلاله كمادة تجارية امتلأت منها جيوب القائمين على هذه المنظمة والمنظِّرين لسياستها .

... **وتتسارع الأحداث** - كما كان يُنتظر - فإذا بهذه اللقاءات السِّريَّة تُفرِز اتِّفاقاً مَسخاً لبذرة (حكم ذاتي) عنوانه : (**غزة أريحا أولاً**) !!

ولا نُريد إطالة التعليق - **اليومَ** - على هذا الاتفاق بأكثر مما قاله بعضُ (الوزراء) اليهود : (**إنَّ اتفاق غزَّة وأريحا يُشَكِّل حزاماً أمنيّاً لإسرائيل ...**) !

فهل من مُبصر أو واعٍ ؟!

أَمَا آن لهذا الشعب أن يدرك الحقيقة الأَبديّة ، وهي أنَّ عزَّته في دينه ، وأنَّ شرفه في الالتفاف حول عقيدته ، وأنَّ سلامته في اللجوء إلى ربّه ؟!

أمَّا الأمانيُّ النظرية الخياليّة فهي لا تخدع إلّا المغفَّلين ، ولا ترضي إلّا المتاجرين .

وصدق القائل :

ومـــن كـان الغـرابُ لـه دليـــلاً ... يَـمُـرُّ بـه علـى جِـيَـفِ الكـلابِ

القراء .. منهم وإليهم

التحرير

▫ وصلت إلى « الأصالة » رسالة من الأخ الدكتور صالح الصالح - بريدة - المملكة العربية السعودية ، يقول فيها :

الأخوة الكرام أسرة تحرير مجلَّة « **الأصالة** » :

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته : الحمد للَّه الذي مكَّن لكم إصدار هذه المجلَّة الطيبة ، وفي خضمِّ الجهل الذي لمسته حتى عند المحسوبين على العلم ، فإنَّ مفهوم الدعوة السلفيّة يحتاج إلى تأصيل سهْل اللُّغة قوي الأدلَّة حتى لا تُوصفَ هذه الدعوة المباركة بأنَّها « حزب آخر » !

ثمَّ يدعو الأخ الفاضل إلى التطرُّق لإيضاح ما يسمى بالسلفية المعاصرة : ما لها وما عليها !!

ويدعو أيضاً إلى الجرأة في الحق والأخذ بالدليل لأنَّهما من أنوار هذه الدعوة المباركة ، وفي ختام رسالته يدعو لأسرة التحرير القائمين على « **الأصالة** » بالتوفيق لكل خير .

« الأصالة » : نشكر الأخ الدكتور صالح الصالح على مشاعره الصادقة ، فـ « الأصالة » ستبقى إن شاء الله اسماً على مسمى وستعمل بنصائح المخلصين من أبناء هذه الأمّة ، وقد بلّغنا سلامكم إلى المشايخ الذين أرسلتم لهم السلام .

وجزاكم الله خيرَ الجزاء .

◻ وصلت إلى « الأصالة » رسالة من الأخ أبي عمر عبدالعزيز أمير أفضل - الرفاع الشرقي - البحرين ، يقول فيها :

أكتب إليكم هذه الرسالة المتواضعة وأسأل الله العليَّ القدير أن تكونوا بصحَّة وعافية إن شاء الله ، وإني لأشكركم على إصدار مجلَّة « الأصالة » وأشكر جميع العاملين في المجلَّة ، والتي خلت - بحمد الله - من المقالات غير الهادفة ، وابتعدت عن أسلوب الجرائد والمجلات ، وأرجو من الله أن تستمرُّوا على هذا النمط الإخراجي والكتابي في المجلَّة ، وجزاكم الله خيراً لما تبذلونه من جهد كبير في الكتابة والطباعة والإخراج ... والله يجزيكم خير الجزاء يوم تلقونه إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

و « الأصالة » تُحَيِّي الأخ أبا عمر عبدالعزيز ، وتشكر له مشاعره ومواقفه ، وستبقى « الأصالة » إن شاء الله مناراً للسنَّة والتوحيد وهي مجلَّة كل من سار على نهج السلف الصالح ، وأسرة تحرير « الأصالة » تتمنّى لكم ولإخوانكم التوفيق والسَّداد ، ومرحباً بكم زميلاً لـ « الأصالة » .

◻ ووصلت إلى « الأصالة » رسالة من الأخ عبدالرحمن عبدالله العطّاس جدة - المملكة العربية السعودية .

يقول فيها : الإخوة في مجلّة « الأصالة » :

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته : كم سعدت - حقيقةً - بصدور مجلّة « الأصالة » ، بعدما علمتُ منهجَها الذي تدعو إليه وهو المنهج السلفي ، وبعدما علمت القائمين عليها ، ولا شك أنَّ هذه المهمَّة - الدعوة إلى منهج السلف وتبيينه وتوضيحه وتصفيته مما علق به - هي مهمة شاقَّة وصعبة وتحتاج إلى صبر وعزيمة ، وكم هذه المهمة ملحَّة وضروريّة ؛ وبالذات في هذه الأيام التي اختلطت فيها الأوراق الذي تغنَّى فيه الكلُّ بوصل ليلى !

ولكنْ بالاستعانةِ باللّه قبل كل شيء ، ثمَّ بجهودكم ومثابرتكم ومنهجكم الواضح ، وبالرجوع إلى العلماء تكون هذه المهمَّة سهلة ويسيرة بإذنه تعالى ، نسأل اللّه عز وجل أن يعينكم على هذا العمل .

والأخ في رسالته يُسْدي لأسرة المجلة بعض الاقتراحات منها أمور فنيّة تتعلَّق بإخراج المجلَّة ، ومنها أمور دعوية منهجية جديرة بالاهتمام ؛ كتوضيح معنى كلمة السلفي والنسبة إلى السلفية حيث يظن البعض أنَّها حزب ، وكذا مفهوم التجديد والمجدّدين ومن هم ؟! وعلى من تُطلق ؟! كما يطلب بيان المنهجية في طلب العلم وكيف يطلب العلم ؟! وبما يبدأ طالب العلم ؟! وما يتعلَّق بهذا الموضوع .

« الأصالة » : نشكر الأخ عبدالرحمن العطاس على رسالته القيمة ومشاعره الطيبة ونصائحه القيمة ، و « الأصالة » لن تألو جهداً في توضيحِ منهج الحق والذب عنه ، وهي دائماً ترنو إلى نصائح وإرشادات الإخوة القراء لأنَّها منهم وإليهم ، والاقتراحات التي أشرتم إليها يا أخ عبدالرحمن محل عناية أسرة « الأصالة » .

وجزاكم اللّه خيراً .

بَينَ موائِدِ الخَمْرِ وموائِدِ الكُفْرِ

التحرير

المؤمن الذي آمن باللّه رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً لا يقفُ مواقفَ الشُّبَهِ ولا يجلسُ مجالسَ التُّهمَ ، فكيف إذا أتى أمراً أو وقف موقفاً يحرمه اللّه !

ولا شكَّ أنَّ ذلك يقدحُ في إيمانه وعقيدته ، وقد قرَّر أهلُ السُّنة والجماعة أنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ ؛ يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، قال تعالى : ﴿ وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادتهم إيماناً ﴾ .

وقال ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » .

وإنَّ موالاةَ أهل المعاصي والفُجور - بل أهل الشرك والكفر - قَدْحٌ في إيمان المؤمن ، ولو كان بمجرَّد الجلوس معهم وحضور ناديهم وشهود أعيادهم ، لذلك يقول الرسولُ ﷺ : « من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فلا يجلسْ على مائدةٍ يُدارُ عليها الخمرُ » .

فإذا كان مجرَّدُ الجلوس على مائدةِ الخمر - ولو اعتقد المسلمُ تحريمَه وأنكره

في قلبه ولم يُباشره شرباً - منافياً للإيمان باللّه واليوم الأخر - والأمر لا يعدو حَدَّ التحريم - فكيف بمن جلس على **موائد الكفر** التي تجعلُ المسلمين كالمجرمين ، والفُجّار كالأبرار ، وشريعةَ الأوثان كشريعة الرحمن ، وعقيدة التثليث الوثنية كعقيدة التوحيد الربانية ، والناسُ في نظر أصحابِ تلك الموائد الكُفريَّةِ سواءٌ ؛ محسنهم ومسيئهم ، مؤمنهم وكافرهم ؛ لأنَّهم - زعموا - **شركاء في المُواطَنة**، ولذلك لا يرى هؤلاء بأساً أن يكونَ الرجلُ اليوم مسلماً ! وغداً مشركاً وثنياً ! والعكس ، مُعرضين عن قول اللّه : ﴿ إنَّ الدينَ عند اللّه الإسلامُ ﴾ وقول الرسول ﷺ : « من بدَّل دينه فاقتلوه » أي : من بدَّل الإسلامَ بالكُفر فحدُّه القتل .

أمَّا الأنظمةُ العلمانيَّة والقوانينُ الوضعيَّةُ فلا تُقيم وزناً لقرآنٍ يتلى ولا لشريعةٍ تُتَّبع .

والداعي إلى اللّه لا يَجِدُ بديلاً عن الوسائل الشرعية التي أمره اللّهُ بها ، والتي بيَّنها رسولُ اللّه ﷺ ، فالغايةُ عنده لا تُسوِّغ الوسيلة ، فهو لا يركبُ الحرامَ ليتوصّل إلى شيء من الحلال ؛ كما لا يَمتطي الخنزير ليجاهد في سبيل اللّه ، فأبى اللّهُ أن يقبل له جهاداً إلّا بوسيلةٍ شرعيةٍ قرّرها الإسلامُ .

فهل يُدرك كثيرٌ من الدعاة الإسلاميّين خطورةَ تركِهم منابرَهم وجهادَهم في تزكية نفوس النَّاس حينما رَضُوا لأنفسهم المهانةَ بشهودهم موائدَ الكفر ، ومجالسَ الزور ؟!

وهل أدركوا أنَّهم هم أنفسهم الخاسرون في البداية والنهاية ؟؟

لعلَّهم ... ولكنْ بعد فوات الأوان ؟!